

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميللة

قسم: اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات

المرجع :

التقديم والتأخير وأثرهما البلاغي في ديوان المتنبي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

إشراف الدكتور:

سليمان مودع

إعداد الطالبتين:

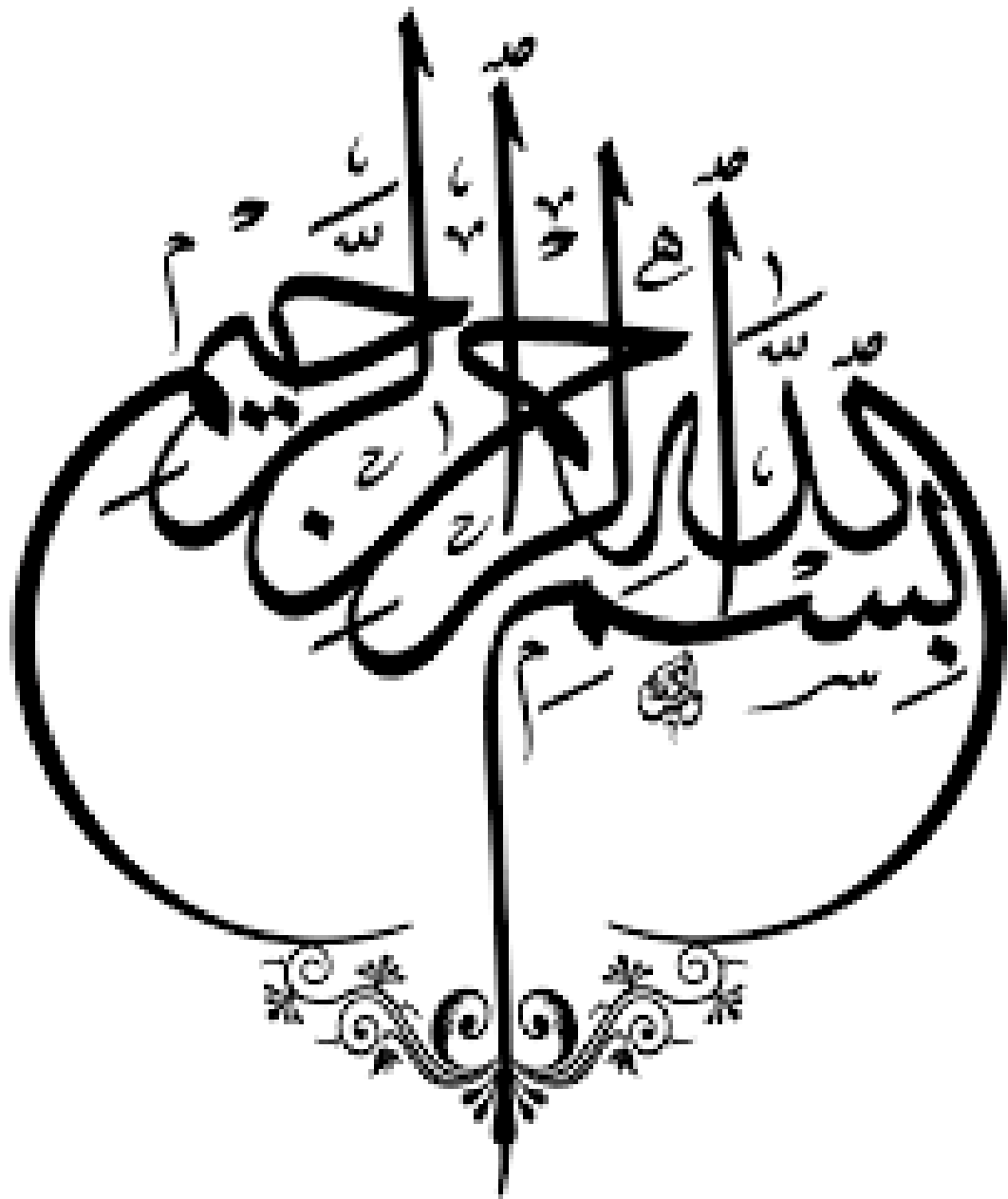
- أحلام حميدة

- حياة حمارة

السنة الجامعية: 2020-2021

CORONAVIRUS
COVID-19





مقدمة

مقدمة:

تعد اللغة العربية من أجل اللغات وأجملها وأقدمها على الإطلاق، لدقة تعبيرها ولشساعة مفرداتها وكثرة معانيها، وتميزت بأنها أغنى لغات العالم من المترادفات، لها عذوبة في اللفظ ونغم في النطق وجمال في الحديث، فيها تنبعث التراكيب المختلفة للكلمات، وهذا ما ألبسها ثوب الفصاحة والبلاغة.

فبما أن علم النحو ينظر في أواخر الكلمات وترتيبها من حيث الإعراب والبناء، انطلاقاً من قواعد وأحكام تنظمه داخل بنية الجملة للتمييز بين صحيح الكلام وسقيمه، وكونه وسيلة تضبط اللسان العربي وتحفظ اللغة من اللحن، فإن علم البلاغة بفنونها الثلاثة (علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني)، فهي الأخرى تكشف لنا عن جماليات النصوص الأدبية، و لطائفة وتصل الذوق والعاطفة وتفرق بين الكلام الحسن والقبيح.

وهذه الفنون في بدايتها كانت علماً واحداً واهتم بها العلماء لارتباطها بالقرآن الكريم، لتتفصل بعد مجيء الجرجاني وأصبح كل علم مستقلاً بذاته.

إن التقديم والتأخير مبحث وجزء من علم المعاني يتناول التركيب وصياغة الجمل، وذلك بالعدول عن القاعدة الأصلية فيتأخر ما حقه التقديم ويتقدم ما حقه التأخير، مع مراعاته لأحوال السامع والمتكلم، وهذا الانزياح لا يكون عشوائياً؛ بل له أسباب عديدة يقتضيها المقام والسياق سواء كان سبباً نحويًا أو سبباً بلاغياً، لالتماس المعنى تارة واللفظ تارة أخرى.

فالمطلع على النصوص الأدبية (الشعرية والنثرية) يجدها لا تخلو من هذه الظاهرة، وخير مثال على ذلك ما ورد في ديوان المتنبي الذي أفاد منها ووظفها في صناعة المعاني، وكان بأسلوبه هذا من فحول الشعراء ولو كان في الجاهلية لكان أفلحهم.

وتكمن أهمية (التقديم والتأخير) وقيمه في بيان قوته وتأكيده على مدى تأثيره على المعاني، من خلال وضع المفردات في غير أماكنها الأصلية، وتبيان موقف النحاة والبلاغيين

منها واعتباره كذلك من المواضيع المهمة في الدرس النحوي والبلاغي، إضافة إلى اكتشاف تجلياته المتمثلة في الانزياح التركيبي تقديمًا وتأخيرًا في شعر المتنبي الذي وظف هذه الأساليب وأفاد منها في تشكيل لغته الشعرية وإبراز خصائصها الفنية ومزاياها الجوهرية.

أما الدوافع والأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هي:

حبنا وشغفنا الكبير للاطلاع على المعارف وتنمية الزاد اللغوي بالإضافة لكونها تدرس وفق جانبين من اللغة (علم النحو والبلاغة)، ولقلة التفات الباحثين لمثل هذه الظاهرة في شعر المتنبي، وهذا أكبر دافع دفعنا للخوض في غماره.

وتمثلت أهداف الدراسة فيما يلي:

*تبيان موقف النحاة والبلاغيين من التقديم والتأخير وجهودهم في دراسته.

*الكشف عن مواطن التقديم والتأخير في الجملة العربية، برصد الظاهرة والوقوف على أغراضها البلاغية، ومدى التزامها بالقاعدة النحوية في ديوان المتنبي.

وقد وقع اختيارنا على موضوع التقديم والتأخير في ديوان المتنبي نظرًا لأهميته اللغوية في توضيح المعاني ومقاصد الكلام، حيث اشتغلنا على جنس الشعر العباسي تحديدًا (ديوان المتنبي) ولدراسة هذا الموضوع قمنا بطرح الأشكال الآتي:

ما مدى تأثير التقديم والتأخير في القاعدة النحوية والقيمة البلاغية في ديوان المتنبي؟ وتدرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:

ما مفهوم التقديم والتأخير؟ وما موقف النحاة و البلاغيين منهما؟ وأين تكمن مواطن التقديم والتأخير وغرضهما البلاغي في ديوان المتنبي؟

وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع إتباع المنهج الوصفي التحليلي وذلك لأن المنهج التحليلي يتماشى مع الفصل التطبيقي، حيث وصفا الظاهرة النحوية وحللنا نماذج مختارة من الديوان لإظهار أغراضها البلاغية.

ولم تغفل دراستنا هذه من الاعتماد على الدراسات السابقة، والتي تناولها الباحثون والدارسون ونذكر منها: "التقديم والتأخير بين القاعدة النحوية والقيمة البلاغية معلقة الأعشى أنموذجا لنوال دقيش"، وكذلك "التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية سورة البقرة أنموذجا لنسرين حساني".

ولا شك أن كل باحث تعترضه صعوبات وعراقيل فقد واجهتنا بعض الصعوبات نذكر منها:

*تشعب الموضوع وشاعته.

*ضيق الوقت الذي كان العائق الرئيسي.

*كثرة المصادر والمراجع مما صعب علينا الإحاطة بجميع جوانب الموضوع.

وقد اقتضت طبيعة بحثنا أن نجعل له مقدمة ومدخلا وفصلان وخاتمة.

في المقدمة عرضنا لمحة عامة عن الموضوع.

في المدخل تناولنا علم البلاغة وأقسامها، وأثر التقديم والتأخير في القيمة النحوية والجمالية البلاغية.

الفصل الأول وسمناه بماهية التقديم والتأخير، والذي تضمن أربعة مباحث رئيسة وضم كل مبحث عناصر فرعية، تناولنا فيه مفهوم التقديم والتأخير، وجهود النحاة والبلاغيين في دراسته، وإبراز أنواعه وأسبابه.

في الفصل الثاني تناولنا التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية، والذي تضمن هو الآخر
مبحثين، يحتوي المبحث الأول على مواضع التقديم والتأخير في الجملة الإسمية، أما المبحث
الثاني فقد خصصناه للحديث عن مواضع التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، وتناولنا ذلك
بالتحليل على المستوى النحوي وعلى المستوى البلاغي.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بحوصلة نهائية أبرزنا فيها ما توصلنا فيه من نتائج في هذا
الموضوع، وذيلائه بقائمة للمصادر والمراجع.

ومن بين المصادر والمراجع التي أثرت قضايا هذا الموضوع نذكر: كتاب دلائل الإعجاز
لعبد القاهر الجرجاني، كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي.

وفي الأخير يطيب لنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى المشرف الدكتور سليمان مودع
على توجيهاته وإرشاداته، ونشكر أعضاء لجنة المناقشة على تجشّمهم على عناء السفر والسهر
لأجل قراءة هذا البحث وتصويبه، وملتزم بكل التوجيهات العلمية السديدة التي توجهها لنا،
والحمد لله على التمام ونسأله عز وجل أن يوفقنا لتحقيق الهدف المنشود.

مدخل

1- تعريف البلاغة

1-1- لغة:

علم البلاغة من أوسع العلوم العربية لما يحتوي عليه من عدة فنون وعلوم تتدرج تحته، وقد حظي باهتمام كبير من طرف القدماء والمحدثين، وقد تعددت مفاهيم البلاغة في المعاجم العربية ومن بين هذه التعاريف نجد:

يقول ابن منظور في لسان العرب: "بلغ الشيء، يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلاغه تبليغا، والبلاغة: الفصاحة، والبلغ والبليغ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبُليغٌ وبليغٌ: حسن الكلام فصيحة يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء".⁽¹⁾

إذا فالبلاغة عند ابن منظور هي بمعنى الفصاحة والجزالة والبيان.

وعرفها بطرس البستاني في قاموسه محيط المحيط بأنها: "بلغ المكان يبلغه بلوغا وصل إليه أو أشرف عليه وبلغ الغلام أدرك الشيء مبلغا جاد والعلة اشتدت وبلغ الرجل على المجهول جهد وبلغ الرجل يبلغ بلاغة كان بليغا".⁽²⁾

فالبلاغة عنده بمعنى بلوغ وإدراك منتهى الشيء.

عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين بقوله: "بلغ: بليغ وقد بلغ بلاغة وبلغ الشيء يبلغ بلوغا وأبلغته إبلاغا وبلغته تبليغا في الرسالة ونحوها وفي كذا بلغ وتبليغ أي كفاية وشيء بالغ أي جيد والمبالغة: أن تبلغ من العمل جهدك".⁽³⁾

⁽¹⁾ ابن منظور (جمال الدين بن محمد بن محمد بن مكرم): لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص419.

⁽²⁾ البستاني (بطرس): محيط المحيط، تح: محمد عثمان، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 2009م، ص382.

⁽³⁾ الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1434هـ-2003م، ص161.

أورد الخليل عدة معان للبلاغة فهي حسبه بمعنى الفصاحة في الكلام والوصول للشيء أي بلوغه والتبليغ عنه.

وعلى العموم فالبلاغة لغة عند كل من ابن منظور وبطرس البستاني والخليل، تنصب على معنى واحد وهو حسن الكلام مع فصاحته ووضوحه وآدائه لغاية والوصول للمراد، أي إيصال المعنى إلى المستمع كما هو بهدف الإقناع.

1-2- اصطلاحاً:

عرفها أحمد الهاشمي بقوله: "البلاغة في الكلام مطابقتها لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها".⁽¹⁾

وعرفها الجاحظ بقوله: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظة معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك".⁽²⁾

بمعنى التعبير عن المعنى بأحسن صورة، وإيصاله إلى المخاطب وترك أثر في نفسه.

غير أن هذه التعريفات لم تحط بكل جوانب البلاغة بل استوعبت جوانب وأغفلت جوانب أخرى، والقليل فقط من حاول الإمساك بتعريف جامع مانع لهذا العلم، ومن بين هؤلاء تعريف عبد الله ابن المقفع وجاء فيه: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنه ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنه ما يكون شعراً، ومنها ما يكون

⁽¹⁾ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، ط1، 1999م، ص32.

⁽²⁾ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: علي أبو ملحم، دار الهلال، بيروت، ط2، 1412هـ-1996م، ص82.

سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز والبلاغة".⁽¹⁾

إذا فالبلاغة هي فن الخطاب، وملكة في النفس، تمكن المتكلم من التعبير عن المعنى وترك أثر في نفس السامع.

2-أقسام البلاغة:

تنقسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام رئيسية هما: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ويتفرع كل فرع منها إلى مجموعة من الموضوعات تدرج تحت مفهومه ونفصل هذه الأقسام فيما يلي:

2-1-علم المعاني:

2-1-1-تعريفه:

عرفه الجرجاني بقوله: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال".⁽²⁾

يقول الخطيب القزويني عنه: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق، وما يحيط به من القرائن. أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود".⁽³⁾

ويقصد القزويني من تعريفه هذا أن علم المعاني علم تعرف به الكلمات وتراكيب الجمل، والتي تستمد معناها انطلاقا من السياق، أي صوغ جملة توحى بالمعنى والغرض المراد.

(¹) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (د.ط)، ج1، 1، 2006م، ص115، 116.

(²) علي بن محمد بن علي: التعريفات للجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، (د.ط)، 740-816هـ، ص201.

(³) الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد): الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص4.

وقد عرفه السكاكي بقوله: "إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".⁽¹⁾

بمعنى أن علم المعاني يهتم بكيفية تركيب الكلام انطلاقاً من الجملة البسيطة وصولاً إلى الكلام المفيد، ويقصد بالتراكيب تراكيب كلام البلغاء الأقرب إلى ذهن السامع. ومن خلال تعريف القزويني والسكاكي يتضح بأن علم المعاني يختص بدراسة اللفظ أي يختار اللفظ الأقرب والأنسب وتبسيطه بطريقة تسهل وصول المعنى بوضوح للمتلقي وعليه فهو يعطي الأولوية للسامع.

2-1-2- موضوعه:

"اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات، التي يطابق بها مقتضى الحال، ويشمل الخبر والإنشاء، ويدرس الخبر من زاوية الإسناد بطرفيه في مختلف أحوالها (الحذف، الترتيب، التتكير، والتعريف، والفصل والوصل وغيرها)".⁽²⁾

إذا علم المعاني ينصب اهتمامه على اللفظ ومعناه في الكلام، فاختلف اللفظ يؤدي لا محالة إلى اختلاف المعنى بالإضافة إلى ترتيب الكلام واستعماله لأغراض مختلفة.

(1) السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي): مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص161.

(2) محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص259.

2-1-3-واضعه:

"الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ). وقد بين ذلك في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وقرن فيهما بين العلم والعمل".⁽¹⁾

2-1-4-مباحثه:

ويتألف علم المعاني من المباحث الآتية:

- الخبر والإنشاء.
- أحوال الإسناد الخبري.
- أحوال متعلقات الفعل.
- القصر.
- الفصل والوصل.
- المساواة والإيجاز والإطناب.

وشرح الجاحظ كل هذه المباحث بإيجاز في أن الكلام العربي نوعان: "إما خبر أو إنشاء، ولا بد له من إسناد؛ مسند ومسند إليه، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا، أو في معناه كاسم فاعل، معطوفة على الأولى وغير معطوفة وهما الفصل والوصل، ولفظ الكلام البليغ إما مساو لأصل المراد وهو المساواة، وإما ناقص عن المراد وهو الإيجاز، أو زاد من أصل المراد لفائدة وهو الإطناب".⁽²⁾

(1) محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب: علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، مرجع سابق، ص260.

(2) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، مصدر سابق، ص4،5.

وعلى العموم فإن علم المعاني مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم النحو، وموضوعه الجملة وأصول الكلام، فمعرفة مقتضى الحال والخطاب شيء لا يستغنى عنه، فبمراعاة كل هذه القواعد يكون الكلام صحيحاً.

2-2-علم البيان:

ويعد هذا العلم من أهم ركائز اللغة العربية، لا يقل أهمية عن العلوم الأخرى فمهمته هي تحسين الكلام من خلال اهتمامه بعنصري العاطفة والصورة الشعرية.

2-2-1-تعريفه:

معناه في اللغة: "الكشف والإيضاح، وفي اصطلاح البلغاء: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى، فالمعنى الواحد يستطاع أدائه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة عليه".⁽¹⁾

فالبيان إذاً هو استعمال المعنى الواحد بطرق مختلفة، والمتحكم فيها هي الأركان التي ينظمها هذا العلم ويتحكم فيها، لإيصال المعنى الواحد بأسلوب راق ومنمق.

2-2-2-موضوعه:

"اللفظ العربي، من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال".⁽²⁾

2-2-3-واضعه:

"أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت206هـ) وبين ذلك في كتابه مجاز القرآن، وهذا الكتاب لا

(1) أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص247.

(2) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1414هـ-1993م، ص208.

يبحث في مجاز القرآن من الجانب البلاغي، وإنما يبحث في تأويل بعض الآيات القرآنية، وأبو عبيدة هذا هو أول من تكلم عن المجاز. (1)

2-2-4-مباحثه:

-التشبيه: "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدره المفهومة في سياق الكلام". (2)

فالتشبيه هو تمثيل أو مماثلة بين شيئين، لوجود عوامل مشتركة بينهما باستعمال إحدى أدواته.

-المجاز: "المجاز اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما، وحقيقة هي الانتقال من مكان إلى آخر، وأخذ هذا المعنى واستعمال للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر". (3)

فالمجاز إذا أخذ أحد اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر، ويكون ذلك اللفظ له علاقة مباشرة بالمعنى الأول، أي نقل المعنى الأصلي واستعماله للدلالة على معنى غيره.

-الاستعارة: "الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي". (4)

فالاستعارة فرع من فروع التشبيه، إذ تستعمل اللفظ في غير موضعه لعلاقة المشابهة القائمة بين المعنى الحقيقي الأصلي والمعنى الجديد الذي نقلت إليه.

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج1، 1405هـ-1985م، ص8.

(2) محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب: علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، مرجع سابق، ص143.

(3) سعيد سليمان حمودة: دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، (د.ط)، 1999م، ص16.

(4) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني البديع، مرجع سابق، ص175.

-الكناية: "لفظ أريد به لازم معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة في إرادته".⁽¹⁾

بمعنى أن الكناية هي استعمال لفظ ما ليس المراد منه المعنى الأصلي بل المعنى الخفي، وهذا اللفظ له معان لازمة ومنه نجد الكناية لها معنيين الأول ظاهر، والثاني خفي وهذا الأخير هو المقصود إذ يعبر عنه بأسلوب غير مباشر مع ذكر دليل عنها.

ومما سبق يمكن القول بأن علم البيان من أهم الأعمدة الفنية التي تركز عليها اللغة العربية، وذلك لما له من دور في إيصال المعنى وبيان محاسنه بأسلوب فني عذب، في حين تمثلت مهمته في الكشف عن جماليات اللغة العربية في وضوح وقوة المعاني.

2-3- علم البديع:

2-3-1- تعريفه:

للخطيب القزويني تعريفين يكادان يكونان تعريفا واحدا، يقول في أولهما: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة".⁽²⁾ كما يقول في ثانيهما: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة".⁽³⁾

ذهب القزويني في هذين التعريفين إلى أن علم البديع يعمل على تحسين وتزيين وتجميل المعاني، مع خلو الدلالة من التعقيد لتلقى قبولاً واستحساناً لدى المتلقي.

وهو "علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السابقين".⁽⁴⁾

(1) أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص345.

(2) الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد): التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904م، ص347.

(3) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، مصدر سابق، ص255.

(4) أحمد بن مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، مرجع سابق، ص318.

والمقصود بهذا التعريف أن علم البديع يزيد الكلام حسنا وترفعاً وجمالاً، مع توفر شروط اعتناء الخطيب بحال من يقرأ، بصياغة الكلمات بعبارات واضحة تلبي حاجته وتبقي في نفسه أثراً.

2-3-2-وضعه:

"أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفي سنة 274هـ، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً ترجمه باسم البديع ذكر فيه سبعة عشر نوعاً وقال: ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره".⁽¹⁾

2-3-3-مباحثه:

رتب الخطيب القزويني قسم البديع تحت عنوانين في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة وهما:

1. المحسنات المعنوية: وتتضمن: المطابقة، المقابلة، مراعاة النظير، تشابه الأطراف التقويف والإرصاد، المشاكلة الاستطراد، المزوجة، العكس، التورية، الاستخدام، اللف والنشر، الجمع والتفريق، الجمع مع التقسيم، الجمع مع التقسيم والتفريق، تأكيد المدح، الاستتباع، التوجيه، الهزل الذي يراد به الجد، تجاهل المعارف، القول بالموجب، الاطراد.

2. المحسنات اللفظية: وتتضمن: الجناس، رد العجز على الصدر، السجع، الموازنة، القلب، التشريع، لزوم ما لا يلزم، وأنهى الباب بكلام على شرط الجنس في البديع اللفظي".⁽²⁾

وإجمالاً يمكن القول بأن علم البديع فن يدرس جماليات الكلمات، سواء المتعلقة منها بجماليات الألفاظ والمعاني مع تحسين الكلام ومراعاة أحوال السامعين، ويشمل المحسنات

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، مرجع سابق، ص 318.

(2) محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مرجع سابق، ص 62.

المعنوية من طباق ومقابلة وتعطي اللفظ رونقا وجمالا، والمحسنات اللفظية من جناس وسجع تعطي المعنى جمالية.

3- التقديم والتأخير بين القيمة النحوية والجمالية البلاغية:

لقد عنيت مسألة التقديم التأخير عناية خاصة واهتمام كبير من قبل النحاة والبلاغيين، وتجاذباتها بذلك الآراء والاتجاهات، ووقفوا على ما فيها من تقنيات في بناء ونظم الكلام، وذلك من خلال انتقال اللفظ من مكان إلى مكان ومن موضع لآخر تقديمًا وتأخيرًا بطرق متنوعة داخل الجملة التي هي موضوع كل من النحو والبلاغة تركيبًا وتحليلًا.

"وبما أن النحو ينظر في التراكيب الكلامية من حيث الصحة والاستقامة، فإن التصريف بجانبه بما أنه من علوم التصحيح، أما البلاغة فتبدأ حيث ينتهي النحو بما أنها علم يتجاوز الصحة والاستقامة إلى جودة البيان ورداءة الفروق، بين ضروب النظم على اختلافها فهي تهتم بجمالية النصوص انطلاقًا من مبدأ التصفيح".⁽¹⁾

أثنى الجرجاني على علم النحو في فهم الألفاظ والتماس مقاصدها، وذلك بمعرفة أحوال أواخر الكلم من خلال إعرابها، ويقول في هذا الموضوع: "إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه".⁽²⁾

أي أن الألفاظ مغلقة على نفسها تحتاج شرحًا وتوضيحًا، ويؤكد الجرجاني هنا حاجة علم النحو لعلم البلاغة وأهميتهما في الإعراب والنظم، فالأول يبحث في تركيب وبناء الجملة من

(1) عبد الرحمان حجازي: التقديم والتأخير بين القيمة النحوية والجمالية البلاغية، المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة (الجزائر)، من موقع شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، 10 ديسمبر 2017، الساعة 18:50.

(2) الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان): دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1، 1413هـ-1992م، ص28.

حيث الصحة والخطأ، والثاني يبحث في البناء البلاغي لتلك الجملة، وعلاقتها بالجمل الأخرى الواردة في نفس السياق وينظر إليها من حيث الجمال و القبح .

معلوم أن التقديم والتأخير يكون في المسند والمسند إليه فيتقدم ويتأخر بعضه عن الآخر لأغراض نحوية كغرض العناية والاهتمام كقول سيبويه: "يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم".⁽¹⁾

يتحدث عن كلام العرب الذي حدث فيه تغيير تقديما وتأخيرا، ولأغراض بلاغية كالتشويق إلى المتأخر أو الإنكار والتعجب أو التخصيص أو الإفادة والتعميم، أو التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت.⁽²⁾

"إن التقديم والتأخير لابد أن يتوافقا مع القاعدة النحوية ويخضعا لسلطانها، غير أنه لابد أن يحملا في طياتهما دلالات بلاغية هي إحدى المعايير التي اعتمدها العلماء في قياس بلاغة النص وفصاحته، وقبوله أو رفضه، فإذا لم يحقق التقديم والتأخير معنا بلاغيا عد ذلك سببا لفساد النظم".⁽³⁾

وبذلك جعل الجرجاني للنحو والبلاغة وظيفية في نظم الكلام، والكشف عن مواطن الحسن الجمال وتذوق المعاني، إذ لا يمكن دراسة بلاغة الكلمات دون النحو فكل منهما يخدم الآخر.

4- أهمية التقديم والتأخير:

إن التقديم والتأخير من أهم مواضيع ومباحث علم المعاني، له أثر بارز وبلغ في الأسلوب، موضوعه الجملة وتركيبها.

(1) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1، 1408هـ - 1988م، ص34.

(2) ينظر: عبد الرحمان حجازي: التقديم والتأخير بين القيمة النحوية والجمالية البلاغية، مرجع سابق.

(3) غادة أحمد نواب: التقديم والتأخير في المثل العربي، دراسة نحوية بلاغية، وزارة الثقافة للنشر، مطبعة السفير، عمان، (د.ط)، 2011م، ص15، 16.

- أن سمة التقديم والتأخير عدم الثبات، فهو في تطور دائم ومستمر فهو على حسب رأي العرب عماد الكلام وسنامه، يظهر لنا مدى قوة التفكير وسعته.

- كما له أهمية كبيرة في الأسلوب القرآني، فهو وسيلة للكشف عن أسرار وإعجاز القرآن الكريم، فقوته وحكمته وبلاغته واضحة وجلية، أي أن كل تقديم وتأخير في المعنى ما من شأنه أن يؤثر في السامع ويلبي حاجته ويحقق غاية المتكلم.⁽¹⁾

- يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان".⁽²⁾

- إن التقديم والتأخير ينمي ملكة الذوق والتدريب على إنشاء النصوص، وفهمها والتمييز بين صحيح الكلام وسقيمه، والتعرف على أسرار المعاني ولطائف التعبير.

- ليس كل واحد من الناس قادر على الكشف عن جماليات التقديم والتأخير، بل يحتاج شخصا له دقة في التعبير وقوة في الأسلوب.

⁽¹⁾ ينظر: سامي عطا حسين: التقديم والتأخير في نظم القرآن الكريم ودلالاته، جامعة آل البيت، المغرب، (د.ط.)، 2013م، ص 5، 6.

⁽²⁾ الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 106.

الفصل الأول:

ماهية التقديم والتأخير

المبحث الأول: تعريف التقديم والتأخير

1- التقديم لغة:

وردت معان عديدة للتقديم في المعاجم العربية تتقارب وتتفق جميعها في المعنى نذكر منها:

ما جاء في معجم الصحاح للجوهري: "الْقَدَمُ: السابقة في الأمر، يقال لفلان قَدَمٌ صِدْقٌ، أي أثره حسنة، وقال الأخفش: هو التقديم، كأنه قَدَّمَ خيرا وكان له في تقديم، وكذلك القُدْمَةُ بالضم والتسكين، ويقال: مشى فلان القُدْمِيَّة، أي تقدم، ورجل قَدِمَ بكسر الدال، أي مُتَقَدِّمٌ".⁽¹⁾

ويذهب ابن منظور في لسان العرب بنفس المعنى تقريبا: "قَدَّمَ: في أسماء الله الحسنى المُقَدِّمُ: هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قَدَّمَهُ، والقَدَم والقُدْمَةُ: السابقة في الأمر، يقال لفلان قَدَمٌ صِدْقٌ أي أثره حسنة، قال ابن البري: القَدَمُ: التَّقَدُّمُ".⁽²⁾

فالتقديم إذا لفظة مشتقة من الجذر الثلاثي قَدَّمَ، بمعنى تقدم شيء على شيء ووضعه في أول الكلام.

2- التأخير لغة:

عرف الخليل في معجمه العين التأخير قائلا: "أخر: نقول هذا آخَرٌ وهذه أخرى، والآخِرُ والآخرة، نقيض المتقدم والمتقدمة، ومُتَقَدِّم الشيء ومؤخره، وآخرة الرجل وقادمته، ومقدم العين ومؤخرها في العين خاصة بالتخفيف، وجاء فلان أخيرا أي بآخره، وبعته الشيء بأخرة

(¹) الجوهري (أبي نصر اسماعيل بن حماد): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد الشامي، دار حديث، القاهرة، 1430هـ-2009م، ص921.

(²) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، مج12، (د.ت)، ص465.

بالتأخير، وفعل الله بالآخر، أي بالأبعد، والآخِرُ: الغائب، والآخِرُ نقيض القُدُم، نقول: مضى
 قدما وتأخر ولقيته أخراً أخريا: أي آخريا، ويقال الأخير الأبعد، وأخرى القوم أخرياتهم".⁽¹⁾

وعرفه الزمخشري أيضا بقوله: "أخر: جاؤوا عن آخرهم والنهار يحر عن آخر فأخر والناس
 يردلون عن آخر فأخر والستر مثل آخرة الرجل، ومضى قدماً وتأخر أخراً و جاؤوا في أخريات
 الناس، ولا أكلمه آخر الدهر وأخرى المنون، ونظر إليّ بمؤخر عينه".⁽²⁾

ومنه نصل إلى أن التأخير عكس التقديم، وهو آخر الشيء وآخر المرتبة أي الإتيان به في
 الأخير على خلاف المقدم.

1- التقديم والتأخير اصطلاحاً:

التقديم والتأخير هو "نقل لفظ عن رتبته في نظام الجملة العربية، فرتبة الفاعل قبل المفعول،
 والمبتدأ قبل الخبر، فإذا جاء الكلام على عكس ذلك قيل: إن فيه تقديماً وتأخيراً".⁽³⁾

أو هو "جعل اللفظ في رتبته قبل رتبته الأصلية، أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية،
 أو ضرورة".⁽⁴⁾

وتبعاً لذلك فالتقديم والتأخير يدخل على الجملة بنوعيتها فيدخل بنظامها العام الأصلي،
 فيتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ، ويتقدم المفعول ويتأخر الفاعل فتتغير هذه المواقع تبعاً لأسباب
 نحوية وأخرى بلاغية.

(1) الخليل : معجم العين، مصدر سابق، ص60.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، مصدر سابق، ص22.

(3) عبد الوهاب حجازي: التقديم والتأخير بين القيمة النحوية والجمالية البلاغية، مرجع سابق، الساعة 14:30.

(4) الطوفي (سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الصرصري البغدادي): الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين،
 مكتبة الأدب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص189.

المبحث الثاني: جهود النحويون في دراسة التقديم والتأخير

لقد نال موضوع التقديم والتأخير حظا وافرا من قبل النحاة في القديم والحديث، وجعلوها جزءا لا يتجزأ من أبحاثهم المتعلقة بالتركيب اللغوي للجملة العربية، على الرغم من اختلاف طريقة تناولهم لها.

1- النحويون القدامى:

خاض الكثير من النحويون القدامى في مسألة التقديم والتأخير، وتعمقوا فيها وبحثوا في جميع خباياها ومن بين هؤلاء سيبويه والخليل وابن جني، تحدث سيبويه عن هذه الظاهرة في كتابه حيث قال: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبداً الله، لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدم، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفظ فيه مقدا وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم"⁽¹⁾.

فالتقديم عند "سيبويه" يكون وفق ما تفرضه الغاية والاهتمام، فالمقدم والمؤخر من المفعول لا يؤديان مقصدا واحدا، ولكن هذا العدول لا ينفك على الكلام العربي الفصيح، فإن تقدم الفاعل عن المفعول أو العكس فكله نابع من لسان عربي فصيح.

وقال أيضا: "والتقديم هنا والتأخير فيما يكون ظرفا أو يكون اسما، في العناية والاهتمام، مثله فيما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير"⁽²⁾.

(1) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ص34.

(2) المصدر نفسه، ص56.

فسيببه يقف على السر البلاغي الذي تحدثه هذه الظاهرة، فمن الكلام ما قدم لغاية الاهتمام والعناية ومنه ما قدم لأهميته، فجعلوا ما كان أهم أسبق مرتبة وكله عربي محض.

وفي المقابل نجد "الفرايدي" يضبط هذا التقديم وفق شروط، فإذا نقصت أحد هذه الشروط أستقبح الكلام "فالتقديم عنده يكون على نية التأخير ويبقى على حكمه الذي كان عليه، قبل أن يتقدم، فتقديم الخبر في (زيد قائم) يظل خبراً إذا قلنا قائم زيد، وتقديم المفعول في (ضرب عمرو زيداً) يبقى على حاله مفعولاً إذا قلنا (ضرب زيداً عمرو)، وهذا هو الشرط لحسن التقديم عند الخليل، وبغير مراعاة هذا الشرط يصبح الكلام قبيحاً؛ لأنه إما أن يؤدي إلى لبس كما في تقديم المفعول حين يصبح فاعلاً، أو يؤدي إلى المحال كما في تقديم الخبر حيث يخبر عن النكرة بالمعرفة".⁽¹⁾

فالخليل وضع شرطاً في تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل وقال بأنه يبقى على حكمه الأصلي وبذلك يكون الكلام حسناً، أما إذا حدث خلافاً في النظام النحوي ولم يراعى هذا الشرط كان الكلام قبيحاً، فلا يصح أن نقول: (قام زيد) فالأصح عنده أن نقول: (زيد قائم) وعليه يكون التقديم على نية التأخير ويحافظ على رتبته الأصلية، ومخالفة هذا الحكم يحدث لبساً في المعنى ومخالفة لقواعد النحو.

أما "ابن جني" فجعل التقديم والتأخير مرهون بما يتفق مع قواعد النحو وما يخالف في القياس ومنه قوله: "وذلك على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطراب الأول كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل الناصبة أخرى، (كضرب زيد عمرو) و(زيداً ضرب عمرو)، وكذلك الظرف نحو: (قام عندك زيد)، و(عندك قام زيد) و(يوم الجمعة سار جعفر)، وكذلك الحال نحو: (جاء ضاحكا زيد) و(ضاحكا جاء زيد)، وكذلك الاستثناء نحو: (ما قام إلا زيداً أحد)، ولا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له، لو قلت: (إلا

(1) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1998م، ص 59.

زيداً قام) القوم لم يجر لمضارعة الاستثناء البديل، ألا تراك نقول: (ما قام أحد إلا زيداً) وإلا زيداً والمعنى واحد، فلما جرى الاستثناء البديل امتنع تقديمه، فإن قلت: فكيف جاز تقديمه على المستثنى منه، والبديل لا يصح تقديمه على المبدل منه، قيل: لما تجاذب المستثنى شَبَهان: أحدهما كونه مفعولاً، والآخر كونه بدلاً خُلِيت له منزلة وسيطة؛ فقدم على المستثنى منه، وأخر البتة عن الفعل الناصبة".⁽¹⁾

ومنه جعل "ابن جني" التقديم والتأخير على نوعين: ما يقبله القياس وما يسهله الاضطراب ففي الأول أجاز التقديم، كتقديم المفعول على الظرف، والحال على الفاعل تارة وعلى الفعل تارة أخرى، كضرب زيداً عمرو، وزيداً ضرب عمرو في تقديم المفعول، وعندك قام زيد في الظرف أما في الحال فأجاز التقديم فيه أيضاً كأن نقول: جاء ضاحكاً زيد، وضاحكاً جاء زيد، ولكن في الاستثناء لا يجوز أن يتقدم المستثنى على الفعل الناصب له وذلك لمضارعة الاستثناء البديل، وهذا ما لا يقبله القياس.

2- النحويون المحدثون:

التقديم والتأخير عند "إبراهيم أنيس" ليس له أثر في المعنى وهذا ما جاء في قوله: "وليس يشفع في انحراف الفاعل عن موضعه، أو المفعول عن موضعه ما ساقه "سيبويه" من حديث عن العناية والاهتمام بالمتقدم، إذ كما قال "الجرجاني": لم يذكر في ذلك مثلاً كذلك لا يشفع في هذا الانحراف فلسفة "عبد القاهر" حيث أراد توضيح معنى الاهتمام بعبارة المشهورة "قتل الخارجي زيد" فالحلال بين والحرام بين، والأساليب التي يسبق فيها المفعول فاعله واضحة جلية، وفي غيرها لا يصح أن يغير أحدهما مكانه، فما قاله النحاة من جواز تقدم المفعول على فاعله حيث يؤمن اللبس، لا مبرر له من أساليب صحيحة، ولا يعدو أن يكون رخصة من بها

⁽¹⁾ ابن جني(أبي الفتح عثمان): الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، ج2، (د.ت)، ص382.

علينا النحاة دون حاجة ملحة إليها. غير أننا قد نقبلها في الشعر، وذلك لأن للشعر أسلوبه الخاص".⁽¹⁾

"إبراهيم أنيس" في قوله هذا خالف نظرة "سيبويه" و "الجرجاني" في التقديم والتأخير، فهو لا يهتم بالاتساق في العبارة وما يرمي إليه المعنى، بل رفض أن يكون له أي أثر، فانتقد "سيبويه" و"الجرجاني" في قولهما بأن ما قدم من الفاعل أو المفعول يفك الغموض واللبس وهذا ليس من صحيح الأساليب، وذكر أن البلاغيين يقدمون لغرض العناية والاهتمام بالمتقدم، فالتقديم والتأخير في نظره لا يكون إلا في النثر، وما كان في الشعر فرضته عليه حاجته إليه وأسلوبه الخاص.

أما "تمام حسان" فكانت نظريته تكاد تعانق المتفق عليه من النحاة في أن العدول عن القاعدة الأصلية للغة العربية يزيل شيئاً من الغموض والإبهام حيث يقول: "الرتبة: أميل إلى الاعتقاد أن "عبد القاهر الجرجاني" ضاع اصطلاحه (الترتيب) قصد به إلى شيئين أولهما ما يدرسه النحاة تحت عنوان (الرتبة) (وإن كانوا لم يعنوا بها تماماً وإنما فرقوا القول فيها بين أبواب النحو) وثانيهما ما يدرسه البلاغيين تحت عنوان التقديم والتأخير. ولكن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه أي أنها دراسة تتم في نطاقين أحدهما مجال حرية الرتبة حرية مطلقة والآخر مجال والرتبة غير المحفوظة وإذا فلا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلفت لاختلف التركيب باختلالها ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها، ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي أن يتقدم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان عن المبين والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه والتوكيد عن المؤكد والبديل عن المبدل والتمييز عن الفعل ونحوه وصدارة الأدوات في أساليب

(1) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص230، 229.

الشرط والاستفهام والغرض والتحضيض ونحوها وهذه الرتبة (صدارة الأدوات) هي التي دعت النحاة إلى صوغ عبارتهم الشهيرة (لا يعمل ما بعدها فما قبلها) ومن الرتب المحفوظة أيضا تقدم حرف الجر على المجرور وحرف العطف على المعطوف وأداة الاستثناء على المستثنى وحرف القسم على المقسم به وواو المعية على المفعول معه والمضاف إلى المضاف إليه والفعل على الفاعل أو نائب الفاعل وفعل الشرط على جوابه ومن الرتب الغير محفوظة في النحو رتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل والمفعول به ورتبة الضمير والمرجع ورتبة الفاعل والتمييز بعد نعم ورتبة الحال والفعل المتصرف ورتبة المفعول به والفعل⁽¹⁾.

تكلم "تمام حسان" في البداية عن مصطلح الرتبة من وجهة نظر الجرجاني فقال بأن ما يدرسه النحاة رتبة، وما يدرسه البلاغيين تقديم وتأخير، ثم ذكر بأن دراسة هذه الظاهرة في البلاغة تكون من مجالين: الأول حرية الرتبة المطلقة، والثاني الرتبة الغير محفوظة، وعليه فالتقديم والتأخير لا يدرس في البلاغة تحت ما يسمى بالرتبة المحفوظة، لأن هذه الأخيرة هي الموقع الثابت للكلمة في تركيبها، كتقديم الصلة على الموصول، والموصوف على الصفة فالإخلال بهذه الرتبة يخلل التركيب، فهي التي تزيل ستار اللبس عن المعاني، فتمام حسان أجاز تقديم الرتب الغير المحفوظة كرتبة المبتدأ والخبر، ولم يجز تقديم ما يسمى بالفضلة والتوابع كتقديم الموصوف على الصفة وغيرها.

المبحث الثالث: جهود البلاغيين في دراسة التقديم والتأخير

أولى البلاغيون العرب القدامى والمحدثون اهتماما كبيرا بمسألة التقديم والتأخير، ويرونها سمة أسلوبية بارزة في الكلام لها جميل الأثر في الأسلوب، يدرس الجمل والتراكيب من حيث

(¹) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1994م، ص 207.

جمالياتها ويتأمل في أسرارها ومزاياها البلاغية، وهي الشاهد على مدى شجاعة العرب وتمكنهم في الفصاحة وطلاقة ألسنتهم، فهو علامة بارزة تدل على علو وشموخ تفكير العرب.⁽¹⁾

ومن بين الجهود المبذولة في هذا المجال نجد:

1- البلاغيون القدامى:

من أهم علماء البلاغة الذين اهتموا بمسألة التقديم والتأخير وأولوها عناية خاصة ما جاء في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقيادهم لهم، ولهم في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"، وقد اختلف في عده من المجاز، فمنهم من عده منه لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، والصحيح أنه ليس منه، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع.⁽²⁾

يقر "الزركشي" بمجهودات النحويين الأوائل في معالجتهم لثنائية التقديم والتأخير وأثرها الجذاب في النفس دليل على فصاحة كلامهم المتميز بالإفادة والاستحسان وترجع هذه الإفادة إلى فنية المتكلم وشجاعته في تركيب العبارة، وذكر أن منهم من صنفه من المجاز وأشار في الأخير على أنه ليس منه.

ودرس "عبد القاهر الجرجاني" ظاهرة التقديم والتأخير في الباب الأول من نظرية النظم إذ يقول: "هذا هو السبيل فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه، إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه

(1) ينظر: ابن قيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصح: محمد بدر الدين النعماني، مطبعة السعادة، مصر، 1910م، ص82.

(2) الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، ج3، 1984م، ص233.

ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه".⁽¹⁾

ويؤكد قيمة التقديم والتأخير وبعدها الفني بقوله: "واعلم أنه من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر أو الكاتب حتى تطرد له قوافيه، ولذلك سجعه ذلك لأنه من البعيد أن يكون في الجملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قصته في كل شيء وكل حال".⁽²⁾

فالجرجاني يستبعد أن يكون التقديم والتأخير في الشيء مفيداً تارة، وغير مفيد تارة أخرى، وتختلف فائدته في الكلام من موقع لآخر، بل يرى أن فائدة التقديم تختلف عن فائدة التأخير، وتلك الغاية والفائدة تكون تبعاً لأغراض المتكلمين في توصيل الخطاب بالمعنى والصورة المطلوبة، فشجاعة الكاتب وفنيته اللغوية هي التي تحدد ذلك.

ذكر "ابن سنان الخفاجي" مسألة التقديم والتأخير وتحدث عن ضوابط وشروط خاصة بالتأليف بوضع الألفاظ في مواقعها سواء كانت حقيقية أو مجازية، ويقول في هذا الصدد: "ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير، حتى يؤدي ذلك إلى فساد

⁽¹⁾ الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 82، 83.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 170.

معناه وإعرابه في بعض المواضع، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول وأشبهها".⁽¹⁾

2-البلاغيون المحدثون:

يقول "عبد العزيز عتيق": "من المسلم به أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة، من أجل ذلك كان لابد من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر، وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقديم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام، وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام وتأخيره لا يرد اعتباراً في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها".⁽²⁾

أي أن كل كلام نتحدث به ما هو إلا عبارة عن كلمات، وهذه الكلمات لا تأتي دفعة واحدة من تلقاء نفسها وإنما تكون مقصودة، ولكي يكون الكلام صحيحاً لابد في تقديم بعض الألفاظ وتأخيرها، وأن تكون لها دواعي وأسباب بلاغية.

وتناول "عبد المطلب" هو الآخر ظاهرة التقديم والتأخير وذكر التحول والتغير الذي يطرأ على الجملة في رتبة المسند والمسند إليه إذ يقول: "ويجب أن نلاحظ أن مقولة التقديم قد تكون خالصة للبعد المعنوي، فإن المسند محكوم عليه متقدم في الذهن على المحكوم به، معنى هذا أن مقولة التقديم لا تكتسب حقيقتها الخالصة إذا كان المسند إليه فاعلاً لأن موضوعه الدائم هو

(1) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص111.

(2) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم المعاني، مرجع سابق، ص136.

التأخير عن الفعل، ومن ثم تتصرف مقولة التأخير إلى المبتدأ غالباً لأن رتبته (غير المحفوظة) هي التقديم".⁽¹⁾

أما "أحمد مطلوب" فيقول: "لقد أثر التقديم والتأخير في حكم كل جزء، ويبدل المعنى الذي يهدف إليه فإذا تساوى المبتدأ أو الخبر في التعريف أو التأكيد كان المقدم منهما المبتدأ والمؤخر الخبر، وهو ما يحدده الغرض، فإذا كان المراد الإخبار بأحدهما آخر ليصبح وصفاً للثاني، أي مسنداً ولولا هذا الهدف لم يكن لهذا التركيب أهمية ولأصبح عبثاً أو ضرورة يلجأ إليها من لا يقدر على التعبير السليم".⁽²⁾

إذا فالمبتدأ والخبر إذا تساويا في التعريف والتأكيد امتنع التقديم والتأخير، ونراعي فيهما الرتبة فنعتبر الأول هو المبتدأ والثاني هو الخبر، فيحافظان على رتبتهم الأصلية، والمتحكم في كل هذه المتغيرات هو الغرض والهدف المراد تحقيقه إذ بدونها لا أهمية للتركيب فيه.

وبناء عليه يمكن القول بأن النحويون كانوا يقدمون أجزاء ويأخرون أجزاء أخرى، مستدلين بما تفرضه القاعدة النحوية ويتجاهلون المعنى أحياناً، في حين أن البلاغيون فينصب تركيزهم على دلالة التراكيب وعلى المعنى وجوهه وبيان أثره، وهذا ما جعل البلاغيون أرفع درجة على النحويون في مؤلفاتهم.

المبحث الرابع: أنواع التقديم والتأخير:

هناك نوعين للتقديم والتأخير أحدهما تقديم على نية التأخير وآخر تقديم لا على نية التأخير وذكرها الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز على النحو التالي:

(¹) محمد أحمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان للنشر الشركة المصرية العالمية للطباعة والنشر، لونغمان، مصر، 1997م، ص236.

(²) أحمد مطلوب: بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، مجلد1، 1987م، ص51، 52.

1-تقديم يقال إنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل: كقولك "منطلق زيد" و"ضرب زيد عمرا"، معلوم أن "منطلق" و"عمرا" لم يخرجوا بالتقديم عما كان عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله، كما يكون إذا أخرت.⁽¹⁾

فاللفظ المقدم يبقى على حكمه النحوي وجنسه وكأنه آخر، سواء تقديم الفاعل على المفعول، أو الخبر على المبتدأ، أو العامل على الحال.

2-وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا ومثاله ما تصنعه يزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: "زيد المنطلق"، وأخرى "المنطلق زيد"، فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكذلك لم تأخر "زيدا" على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا.⁽²⁾

وبالتالي يتغير اللفظ المقدم من حكم لآخر ومن إعراب لآخر، والتقديم والتأخير يكون مبنيا على مراعاة أحكام النحو أولا ثم على دلالة الألفاظ ثانيا لبناء الأغراض على ما يقتضيه المقام حسب السياق التخاطبي الذي يورد فيه بهدف الإقناع.

(¹) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص106.

(²) المصدر نفسه، ص106،107.

المبحث الخامس: أسباب التقديم والتأخير:

-أحدهما: أن يكون الأصل فيه أن يتقدم الفاعل ويتأخر المفعول، ويتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، دون الانزياح عن القاعدة الأصلية في الجملة العادية.

-والثاني: أن يكون في التأخير خروج عن القاعدة والإخلال بالمعنى فيقدم تفاديا لذلك، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ ٢٨ سورة غافر 28 فإذا أخرج تركيب «آلِ فِرْعَوْنَ» لاختل المعنى وفهم بمعنى غير المعنى المقصود ولا يفهم أن الرجل من آل فرعون.⁽¹⁾

وجعل السكاكي من أسباب التأخير القصد إلى التعميم والامتتاع على أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار، وأنه أحد أنواع سحر الكلام، حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى، كقولهم في باب المبالغة: فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويبني ويهدم.⁽²⁾

-الثالث: أن يكون التقديم لمشاكلة الكلام كقوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ٣٧ سورة فصلت 37، حدث تقديم في لفظة إياه على تعبدون لمشاكلة الكلام في رؤوس الآية، ورعاية الفاصلة التي تعد من المظاهر الصوتية التي تحمل إعجازا ودلالات بالغة الجمال يقع بها إفهام المعاني كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ ٦٧ سورة طه 67، فإذا قدم موسى وأخر في نفسه فات تناسب الفواصل.⁽³⁾

⁽¹⁾ ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص 233.

⁽²⁾ السكاكي: مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 227.

⁽³⁾ ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص 234.

ومنها أن قال في سورة طه: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هُرُونَ وَمُوسَىٰ ۗ٧٠﴾ سورة طه 70، وفي الشعراء: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۗ٤٨﴾ سورة الشعراء 48، للمحافظة على الفاصلة.⁽¹⁾ والأصح أن يتقدم موسى على هارون.

-الرابع: لعظمته والاهتمام به؛ فالفصحاء من العرب يقدمون ما هو أهم وأبلغ في كلامهم فيجعلون ما كان اهتمامهم به أكبر في مقدمة كلامهم، وأعلى مثل يعكس هذا، قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ۗ٤٣﴾ سورة البقرة 43، فالله جل وعلا قدم عبادة الصلاة لأنها أهم العبادات وأولها، وقال أيضا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۗ١٢﴾ سورة التغابن 12، فالله سبحانه هو المقدم في العبادة والطاعة ومن بعده رسوله الكريم، أما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۗ٥﴾ سورة الفاتحة 5، فالله قدم العبادة لأهميتها ومكانتها المرموقة عنده، فالعبد يخص خالقه بالعبادة ويخصه بالاستعانة، أما ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۗ١﴾ سورة العلق 1، وجاءت حسب قراءة العلماء على وجهين: الأول أن ما قدم هو الفعل (أقرأ) لأنها أول كلمة نزلت في القرآن الكريم وهي الأمر بقراءة القرآن مفتتحا باسم ربك، وموضع (باسم ربك) نصب على الحال، والثاني: أن (باسم ربك) متعلق بالفعل (أقرأ) الثاني في الآية الكريمة فيكون مفعولا وهو المقروء وجاءت للقصد والتعميم.

-الخامس: هو ما يلتفت إليه خاطر ويقوده إلى المعنى المقصود في البيان القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ۗ١٠٠﴾ سورة الأنعام 100، قدم المجرور (لله) وأخر المفعول (شركاء) فالكافرون جعلوا لله شركاء، وتقديم المجرور على المفعول جاء لإنكار ذلك، لأن الإنكار متوجه للجعل لله عزوجل، لا إلى مطلق الجعل.⁽²⁾

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 239.

(2) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص 235، 236.

﴿سورة البقرة 2﴾، فالتأخير في هذا الموضع نفى الريب والشك، كما الحال في لا عيب في الدار، أما إذا قلنا لا في الدار عيب فهي مفضلة عن باقي الدُور وخالية من العيوب.⁽¹⁾

(¹) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص236،237.

الفصل الثاني:

دراسة نحوية بلاغية للتقديم

والتأخير في ديوان المتنبي

المبحث الأول: مواضع التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

معلوم أن الجملة الاسمية هي كل جملة تبدأ باسم، تتكون من مبتدأ وخبر كلاهما مرفوع، وتفيد التجدد والاستمرار والأصل فيهما أن يتقدم المبتدأ على الخبر، وهذه المواضع قد تتغير تبعاً لأسباب نحوية وأخرى بلاغية.

1- تقديم الخبر على المبتدأ:

يقول حسن نور الدين: "المبتدأ هو المسند الذي لم يسبقه عامل وهو المخبر عنه أي المحكوم عليه".⁽¹⁾

أما الخبر "فهو المتحدث به في الجملة الاسمية (الحكم، المخبرية، المسند) وبه يتم معنى الجملة".⁽²⁾

ومن مواضع التقديم والتأخير الواقعة وجوباً: "كون المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ إلا تقدم الخبر وهو ظرف أو جار ومجرور".⁽³⁾

ومثال ذلك قول المتنبي:

على طوق فيها على الطرق رفعة*** وفي نكرها عند الأنيسِ خمول⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ حسن نور الدين: الدليل إلى قواعد اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ-1996م، ص135.

⁽²⁾ أحمد مختار عمر وآخرون: النحو الأساسي، دار السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1414هـ-1994م، ص336.

⁽³⁾ السامرائي (محمد فاضل): النحو العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1435هـ-2014م، ص197.

⁽⁴⁾ المتنبي (أبو الطيب أحمد بن حسين): الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ-1983م، ص356.

وقال أيضا:

وكل فتى للحرب فوق جبينه*** من الضربِ سطرٌ بالأسنةِ معجمٌ.⁽¹⁾

ويقال أيضا:

عدويةٌ بدويةٌ من دونها*** سَلْبُ النفوسِ ونازِ حربِ توقد.⁽²⁾

ولتحديد مواطن التقديم والتأخير في هذه الأبيات ولإبراز الغرض البلاغي من ذلك، وجب علينا تحليل الأبيات على مستويين المستوى النحوي والمستوى البلاغي والتي سنعرضها كالاتي:

أ- على المستوى النحوي:

في البيت الأول تقدم الخبر (عند الأنيس) على المبتدأ(خمول) وجوبا، فلا يجوز أن نقول (خمول عند الأنيس) لأن الخبر هنا وقع شبه جملة والمبتدأ نكرة غير مسوغ، وعليه فالنمط التركيبي لهذه الجملة هو:

مسند مقدم(الأنيس): خبر مقدم (ظرف زمان) + مسند إليه مؤخر(خمول): مبتدأ مؤخر (نكرة ليس مسوغ).

فإعراب الجملة كالاتي:

عند: مفعول فيه ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

الأنيس: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وشبه الجملة (عند الأنيس) في محل رفع خبر مقدم.

خمول: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

⁽¹⁾ المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص304.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص47.

أما في البيت الثاني في جملة (فوق جبينه من الضرب سطر) تقدم الخبر (فوق جبينه) الواقع ظرف على المبتدأ (سطر) وجوبا، وذلك بسبب وقوع الخبر شبه جملة ظرف مكان، والمبتدأ نكرة، فالنمط التركيبي لهذه الجملة هو:

مسند مقدم (فوق جبينه): خبر مقدم (ظرف مكان) + مسند إليه مؤخر (سطر): مبتدأ مؤخر (نكرة).

فالإعراب جاء كالاتي:

فوق: مفعول فيه ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف. جبينه: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، (وشبه الجملة فوق جبينه في محل رفع خبر مقدم). من: حرف جر.

الضرب: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

سطر: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وبالنسبة للبيت الأخير في قوله: (من دونها سلب النفوس) نلاحظ كذلك حدوث تغيير في أجزاء الجملة بحيث قدم الخبر (من دونها) وأخر المبتدأ (سلب) وجوبا وذلك بسبب وقوع الخبر شبه جملة جار ومجرور والمبتدأ نكرة، فالمركب الإسنادي هنا كالاتي:

مسند مقدم (من دونها): خبر مقدم (جار ومجرور) + مسند إليه مؤخر (سلب): مبتدأ مؤخر (نكرة).

فإعراب الجملة هو:

من: حرف جر مبني على السكون.

دونها: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه، و(شبه الجملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم).

سلب: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

النفوس: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

وبناء عليه التزم تقديم الخبر في كل موضع جاء فيه المبتدأ نكرة لا مسوغ لها إلا تقدم الخبر.⁽¹⁾

ب- على المستوى البلاغي:

قبل تحديد الغرض البلاغي للتقديم والتأخير في الأبيات السابقة لا بد أولاً من تحديد معانيها، ففي البيت الأول (...وفي ذكرها عند الأنيس خمول) نجد بأن المتنبي هنا يصف لنا الطرق في الجبال وهي مرتفعة، إلا أنها مع رفعتها خاملة عند الناس، أي أنهم لا يسلكونها.⁽²⁾ فبعد شرحنا لهذا البيت يمكننا أن نتطرق إلى تحديد الغرض البلاغي لموضع التقديم والتأخير بحيث قدم المتنبي المسند(الأنيس) على المسند إليه(خمول) وذلك لم يكن اعتبارياً بل كان مقصوداً لغاية بلاغية ألا وهي التوكيد والتخصيص.

أما معنى البيت الثاني في قوله: (... فوق جبينه من الضرب سطر) "أنه جعل أثر الضرب كالسفر لطوله وأثر الطعن إعجاباً لذلك السطر لتدور جراحته فهي كالنقطة يريد أنهم رجال حرب على وجوههم آثار الضرب والطعن".⁽³⁾

⁽¹⁾ السامرائي: النحو العربي أحكام ومعان، مرجع سابق، ص 199.

⁽²⁾ ينظر: الواحدي: شرح ديوان المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، برلين، (د.ط)، 1426هـ-1861م، ص 547.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 468.

أي أن كل فتى شجاع محارب ماهر قوي تكون فوق جبينه آثار الضرب والحرب وكل هذه الآثار كتبت بدم الجهاد وبناء عليه فالغرض البلاغي لهذا الشاهد هو إبراز الشجاعة وبطولة الفتى في مواجهته لعدوه لا يوليه ظهره أبداً في الحرب فالمتنبي قدم نسبة الجملة الواقعة خبر مقدم على المبتدأ (سطر) والأصل فيها (كل فتى للحرب سطر فوق جبينه من الضرب).

وكذلك الحال بالنسبة للبيت الأخير قبل تحديد الغرض البلاغي منه وجب أولاً فهم معناه فهو في قوله: (...سلب النفوس و نار حرب توقد) يقول: "إنها من قومها في منعة، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب، فمن حاول الوصول إليها صلي بنار الحرب".⁽¹⁾

أي أنها من أجلها تسلب النفوس وتقام الحروب، فالمتنبي هنا لجأ إلى الانزياح مرة أخرى فقدم المسند (من دونها) وآخر المسند إليه (سلب) فالأصل فيها (سلب النفوس من أجلها وإقامة الحروب لأجلها) لغرض التخصيص وبيان مكانة المخاطب على النفوس ومن أجلها تقام الحروب وإشعاراً بمكانتها وعزتها.

ومن مواضع تقديم الخبر على المبتدأ وجوباً أيضاً "أن يكون الخبر له الصدارة في الجملة كأن يكون اسم استفهام".⁽²⁾

نحو قول المتنبي:

وما الفرقُ ما بين الأنامِ وبيئتهُ *** إذا حذر المحذور واستصعب الصعبا.⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 470.

⁽²⁾ السامرائي: النحو العربي أحكام ومعان، مرجع سابق، ص 198.

⁽³⁾ المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص 328.

أ- على المستوى النحوي:

ونجد الشاعر هنا قد كسر القاعدة النحوية في تركيب الجملة بحيث قدم الخبر (ما) الواقع اسم استفهام على المبتدأ (الفرق) وجوبا "وسبب ذلك أنها وردت من الألفاظ التي تستوجب التصدير أي تستحقه وجوبا"¹ فالنمط التركيبي لهذه الجملة:

مسند مقدم (ما): خبر مقدم (اسم استفهام) + مسند إليه مؤخر (الفرق): مبتدأ مؤخر (نكرة).

فإعرابها جاء كالاتي:

وما: الواو استئنافية، ما اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم.

الفرق: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

ب- على المستوى البلاغي:

يذكر الشاعر "أنه لا فرق بينه وبين غيره من الناس وأية امتياز يمتاز به عما غيره إذا كان يخشى ما يخشاه سواه أو كان ممن يستصعب الصعبا"²، وفي هذا التصوير الفني نجد الشاعر قد غير في رتبة الجملة فخرج عن القاعدة الأصلية، وذلك لغاية بلاغية فقدم المسند (ما) على المسند إليه (الفرق)، وأصل الكلام (الفرق ما بين الأنام وبينه)، فهنا جاء السبب نحوي لا بلاغي لأن الجملة وقع فيها الخبر استفهام، وأن أدوات الاستفهام لها الصدارة في الجملة.

أما بالنسبة لمواضع التقديم والتأخير الواقعة جوازا:

تقديم الخبر المفرد على المبتدأ نحو ذلك قول المتنبي:

(¹) السامرائي: النحو العربي أحكام ومعان، مرجع سابق، ص199.

(²) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص506.

حرامٌ على قلبي السرورُ فإنني *** أعد الذي ماتت به بعدها سما.⁽¹⁾

نقوم أولاً بتحليل هذا البيت على مستويين للكشف عن الغرض وموضع التقديم والتأخير:

أ- على المستوى النحوي:

نلمس في هذا الشاهد توظيف الشاعر لسمة التقديم والتأخير تحديداً في الشطر الأول، وذلك حيث قدم الخبر (حرام) على المبتدأ (السرور) وسبب التقديم هنا هو مجيء الخبر مفرد لا واقع شبه جملة جار ومجرور ولا ظرف والمبتدأ جاء معرفة، فالمركب الإسنادي لهذه الجملة هي: مسند مقدم (حرام): خبر مقدم (مفرد) + مسند إليه (السرور): مبتدأ مؤخر (معرفة).

فإعراب الجملة كالآتي:

حرامٌ: خبر مقدم مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

على: حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

قلبي: اسم مجرور ب(على) وعلامة جره الكسرة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة مناسبة وهو مضاف، الياء: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة.

السرورُ: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

ب- على المستوى البلاغي:

وقال الشاعر هذا البيت في رثاء جدته ويقول: "كثر حزني بها، فكأن يمت عليها غصا، وماتت هي من شدة سرورها بحياتي بعد يأسها مني".⁽²⁾

⁽¹⁾ المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص 174.

⁽²⁾ العبكري (أبو البقاء): التبيان في شرح الديوان، ضب: كمال طالب، دار الكتب العلمية، دط، ج4، بيروت، لبنان، 1871م، ص105.

أي كثر حزني بفقدها، فنجد هنا المتنبي قد عمد إلى تقديم المسند (حرام) على المسند إليه (السرور)، وذلك لغرض الاهتمام والعناية بالمتقدم دون غيره، والأصل فيها هو (السرور على قلبي حرام) شبه السرور بالسلم وهذا دليل على مقام جدته الغالي، مما زاد التعبير قوة وتأثيراً وهي صورة رائعة استطاع المتنبي فيها إظهار اعتزازه وتمجيده لجدته.

ومن حالات تقديم الخبر على المبتدأ وجوباً أيضاً أن يكون: الخبر له الصدارة في الجملة كأسماء الاستفهام ومثال ذلك قول المتنبي:

أَصْحْرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تَحْرِكْنِي *** هَذَا الْمَرَامُ وَلَا هَذَا الْأَغَارِيدُ.⁽¹⁾

نحلل هذا البيت كما ذكرنا سابقاً على المستوى النحوي والبلاغي كالآتي:

أ- على المستوى النحوي:

قدم هنا الشاعر في جملة (أصخرة أنا) الخبر (الصخرة) على (أنا) جوازاً مع أن الأصل فيها (أنا صخرة)، وذلك لسبب وقوع الخبر ممن له الصدارة جاء استفهام فالنمط التركيبي لهذه الجملة إذا هو:

مسند مقدم (أصخرة) خبر مقدم + مسند إليه (أنا) مبتدأ مؤخر.

فإعراب هذه الجملة كالآتي:

أصخرة: الهمزة استفهامية لا محل لها من الإعراب.

صخرة: خبر مقدم مرفوع بالضممة الظاهرة على آخره.

أنا: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ مؤخر.

(¹) المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص506.

ب- على المستوى البلاغي:

فالمتنبي هنا في معنى هذا الشاهد "يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لا تطربانه ولا تؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء".⁽¹⁾

فهو يستنكر نفسه ويفصح عما في نفسه لما يعانيه من أزمات نفسية في العيد جراء فقدانه لأحبته، فمجيء الخبر هنا واقع اسم استفهام مقدما على المبتدأ على الرغم من أنه من المفروض أن يقول (أنا صخرة) مبتدأ وخبر، لكن الشاعر جعلها العكس وذلك لغرض التخصيص والتوكيد، مما أعطى جمالية تعكس النوازع النفسية للشاعر، وهذا ما أكسب المعنى رونقا وتماسكا صوتيا في التركيب.

2- تقديم خبر (كان) على اسمها:

كان وأخواتها هي أول النواسخ الفعلية وأهمها، "وكان" رأس هذا الباب وعنوانه، لأنها أكثر أخواتها استعمالا، كما أن لها أحوالا كثيرة تخصها، وهي مثل أخواتها، فعل ناسخ ناقص لأنها تدخل على الجملة الاسمية فتغير حكمها بحكم آخر، إذ ترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها، ومعنى ذلك أنها العامل في الاسم وفي الخبر معا، وهي فعل ناقص لأنها تدل على زمان فقط، أي أنها لا تدل على حدث من ثم لا تحتاج إلى فاعله".⁽²⁾

قد يتقدم خبر كان وأخواتها على اسمها في الجملة الاسمية وجوبا في حالتين، ومثالها ما ورد في ديوان المتنبي ومنه قوله:

وكانَ على قَرِينَا بِيَّتُنَا *** مَهَامَه من جهله والعمى.⁽³⁾

(1) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 540.

(2) عبده الراجحي: التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ-1999م، ص 113.

(3) المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص 511.

وقال أيضا:

فهلّا كان نقص الأهل فيها*** وكان لأهلها منها التمام.⁽¹⁾

وقال أيضا:

فأصبح بالعواصم مستقرا*** وليس لبخر نائله قرار.⁽²⁾

وقال أيضا:

حذار فتى إذ لم يرض عنه*** فلئیس بنافع لهم الحذار.⁽³⁾

يجب تحليل هذه الأبيات كسابقاتها على المستوى النحوي والمستوى البلاغي:

أ- على المستوى النحوي:

فالمتمأل في البيت الأول في جملة (وكان على قربنا بيتنا) يجد أن خبر كان تقدم على اسمها، تقدمت لفظة (على قربنا) على أنها خبر كان، وتأخرت لفظة (بيتنا) على أنها اسم للناسخ كان وجوبا، وذلك بسبب اتصال اسمها بضمير يعود على الخبر، فلا يجوز هنا تقديمه على الخبر، فلا نقول (وكان بيتنا على قربنا) لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، فالنمط التركيبي لهذه الجملة هو:

كان (ناسخ) + مسند مقدم (على قربنا): خبر كان مقدم (شبه جملة جار ومجرور) + مسند إليه (بيتنا) اسم كان مؤخر + ضمير يعود على الخبر.

فإعراب هذه الجملة كالآتي:

⁽¹⁾ المتنبي، الديوان، مصدر سابق، ص403.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص102.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص402.

الواو: استئنافية لا محل لها من الإعراب.

كان: فعل ماض مبني على الفتح الظاهر على آخره.

على: حرف جر مبني على السكون.

قربنا: اسم مجرور (بعلى) وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والضمير (نا) مبني على السكون في محل جر مضاف إليه. وشبه الجملة (على قربنا) في محل نصب خبر مقدم.

بيئنا: اسم كان مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والضمير (نا) في محل جر مضاف إليه.

قدم المتنبي في البيت الثاني خبر ليس ألا وهو (لأهلها) على اسمها (التمام)، وذلك بسبب وقوع خبرها شبه جملة جار ومجرور واسمها جاء معرفة لذلك جاز التقديم فالنمط التركيبي إذا هو:

كان (ناسخ) + مسند مقدم (لأهلها): خبر كان مقدم (شبه جملة جار ومجرور) + مسند إليه مؤخر (التمام) اسم كان مؤخر.

فإعراب الجملة هو:

وكان: الواو استئنافية، كان: فعل ماض ناقص مبني على الفتح.

لأهلها: اللام حرف جر لا محل له من الإعراب، أهلها: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف، و الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

وشبه الجملة (لأهلها) في محل نصب خبر مقدم.

منها: من: حرف جر مبني على السكون، و(ها): ضمير متصل مبني في محل جر اسم مجرور.

التمائم: اسم كان مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

أما بالنسبة للبيت الثالث في قوله: (لبحر نائله قرار) قدم خبر ليس (لبحر) وأخر اسمها (قرار) وسبب ذلك مجيء الخبر شبه جملة جار ومجرور والاسم نكرة، فالمركب الإسنادي لهذه الجملة هو:

(ليس) ناسخ + مسند مقدم (البحر): خبر ناسخ مقدم (شبه جملة جار ومجرور) + مسند إليه مؤخر (قرار).

فالإعراب الجملة كالاتي:

ليس: فعل ماض ناسخ ناقص مبني على الفتح.

لبحر: اللام: حرف جر، بحر: اسم مجرور متعلق بخبر ليس محذوف مقدم.

نائله: نائل: مضاف إليه، والهاء ضمير في محل جر بالإضافة.

قرار: اسم ليس مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره.

وفي البيت الأخير عمد المتنبي أيضا للتقديم والتأخير في رتبة خبر الناسخ واسمه في جملة (فليس بنافع لهم الحذار)، فقدم خبرها (بنافع) وأخر اسمها (الحذار) جوازا، وذلك بسبب وقوع الخبر شبه جملة، لذلك جاز تقديمه. فالمركب الإسنادي لهذه الجملة هو:

ليس (ناسخ) + مسند مقدم (بنافع): خبر ليس مقدم (شبه جملة) + مسند إليه مؤخر (الحذار): مبتدأ مؤخر (معرفة) + فالإعراب جاء كالاتي:

ليس: فعل ماض ناسخ ناقص مبني على الفتح.

بنافع: الباء حرف جر زائد، نافع: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر.

لهم: اللام: حرف جر، (الهاء): ضمير متصل مبني في محل جر اسم مجرور، و(الميم) للجماعة.

الحدار: اسم ليس مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

ب- على المستوى البلاغي:

يرى المتنبي في قوله: (وكان على قربنا بيتنا...) "أنه حين كان قريباً منه يقصد كافور الإخشيد كان بينهما بعد من جهله لأن الجاهل لا يزداد علماً بالشيء ولو قرب منه".⁽¹⁾

وهو بيت من القصيدة المشهورة التي قالها بعد هروبه من مصر متجهاً إلى الكوفة، فنلاحظ هنا أن المتنبي تلاعب بأجزاء التركيب فقدم ما حقه التقديم في لفظة (قربنا) وأخر ما حقه التأخير في لفظة (بيتنا)، وذلك لم يرد عبثاً منه بل كان للشاعر غاية بلاغية ألا وهي: التخصيص والتوكيد والتنبيه على القرب، إضافة لما خلفه من أثر زاد الأسلوب حسناً وجمالاً ورفعاً.

وما نفهمه أيضاً من البيت الثاني (...وليس لبحر نائله قرار) "هلا كان نقص الأهل في الأرض وتمامها في أهلها، أي ليت كمال الأرض كان لساكنيها، ونقصانها، والمعنى استقر بهذا المكان لا يستقر نداء ونائله".⁽²⁾

وهو في هذا الشاهد استعمل تقنية التقديم والتأخير، فقد المسند (البحر) وأخر المسند إليه (قرار) وأصلها (أليس قرار لبحر نائله)، وذلك لغرض بلاغي ألا وهو: التخصيص والتوكيد وقد يكون أيضاً غرضه الترهيب والتخويف من البحر لعمقه، ومهابه يثير مشاعر الهلع والخوف.

⁽¹⁾ العبكري: التبيان في شرح الديوان، مصدر سابق، ص58.

⁽²⁾ ينظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص608.

أما معنى البيت الثالث في قوله: (...كان لأهلها منها التمام) فيقول: "هلا كان نقص أهل الأرض في الأرض وتمامها في أهلها والمعنى ليس كمال الأرض كان لساكنيها ونقصهما فيها".⁽¹⁾

ففي هذا الشاهد استطاع الشاعر التلاعب بعناصر الجملة تقديمًا وتأخيرًا حيث كان شبه جملة (لأهلها) على اسمها (التمام) فالتقديم والتأخير هنا وقع أسلوب قصر وغرضه التخصيص، أي أن التمام الذي ينشده أهل الدنيا منها يجهل أحيانًا إذا كان نقص في المال والأهل والأنفس فالناس يطلبون حصول التمام والكمال.

أما البيت الأخير في قوله: (... فليس بناقع لهم الحذر) يتحدث هنا عن فرسان سيف الدولة فيقول: "هم: إما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدتهم وهو حذر في غير موضعه، لأنه إذا كان غير راض عنهم، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئًا، فهو يدركهم أينما كانوا ولو في أقاصي البلاد أو في الجواد".⁽²⁾

ففي هذا الشاهد نجد المتنبي قد عمد إلى الانزياح عن القاعدة الأصلية فقدم خبر ليس (بناقع) وأخر اسمها (الحذارُ)، فأصله (فليس الحذر نافع لهم)، فوجود حرف الجر مع أسلوب القصر يفيد غرض التوكيد، وفيه توكيدين هما توكيد بالتقديم والتأخير والثاني توكيد بحرف الجر الزائد، فالمتنبي هنا رسم لوحة فنية متكاملة ومتناسقة اتساقًا تامًا مراعيًا فيه سياق الكلام في أبهى صورة.

(1) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص172.

(2) عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص150.

3-تقديم خبر (إن) وأخواتها على اسمها:

قال أحمد مختار عمر: "إن وأخواتها حروف ناسخة تدخل على الجملة الاسمية فتتصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها".⁽¹⁾

ترتيب الكلام في الجملة الاسمية بعد دخول "إن" أو أحد أخواتها هو: الناسخ ثم اسمها ثم خبرها، ولكن أحيانا تتوفر شروط نحوية وأخرى بلاغية يتغير الترتيب الأصلي للجملة، فيتقدم خبرها على اسمها.

وفي هذا الانزياح نذكر من شعر المتنبي:

إن في الموج للغريق لَعُذْرًا *** واضحا أن يفوته تعداده.⁽²⁾

وقال أيضا:

لعل لسيفِ الدولةِ القرمِ هَبَّةٌ *** عيش بها حق ويهلك بها باطل.⁽³⁾

وقال أيضا:

تجاذب فرسان الصباح أَعْنَةَ *** كأن على الأعنَاقِ منها أفاعيًا.⁽⁴⁾

أ-على المستوى النحوي:

في البيت الأول تقدم خبر (إن) (في الموج) على اسمها (لعذرا) وجوبا، وذلك لوقوع الخبر شبه جملة جار ومجرور، واقتران اسمها بلام التوكيد أو كما يسميها أهل الاختصاص اللام المزلقة فكان لخبر (إن) حق الصدارة. فالنمط التركيبي لهذه الجملة هو:

(1) أحمد مختار عمر وآخرون: التدريبات اللغوية والقواعد النحوية، مرجع سابق، ص 157.

(2) المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص 529.

(3) المصدر نفسه، ص 377.

(4) المصدر نفسه، ص 443.

إن + مسند مقدم (في الموج): خبر إن مقدم (شبه جملة جار ومجرور) + مسند إليه مؤخر (لعذرا): اسم إن مؤخر (نكرة مقترن بلام التوكيد).

والإعراب جاء كالآتي:

إن: حرف نصب وتوكيد مبني على الفتح.

في: حرف جر مبني على السكون.

الموج: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، (وشبه الجملة (في الموج) في محل رفع خبر إن مقدم).

لعذرا: اسم (إن) مؤخر منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، واللام للتوكيد.

أما في البيت الثاني في جملة (لعل لسيف الدولة القرم هبة) تقدم خبر الناسخ لعل (لسيف) على اسمها (هبة) وجوبا، وما سمح لهذا التقديم هو ورود الخبر شبه جملة، والاسم نكرة، فالنمط التركيبي لهذه الجملة هو:

لعل + مسند مقدم (لسيف): خبر لعل مقدم (شبه جملة جار ومجرور) + مسند إليه مؤخر (هبة): اسم لعل مؤخر (نكرة).

فإعراب هذه الجملة كالآتي:

لعل: فعل ماضي ناقص مبني على الفتح (للترجي).

لسيف: اللام حرف جر، سيف: اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وشبه الجملة (لسيف) في محل رفع خبر لعل مقدم.

الدولة: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

القرم: نعت مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

هبةً: اسم لعل مؤخر منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

وفي البيت الأخير قدم المتنبي خبر (كأن) على اسمها في جملة (كأن على الأعناق منها أفاعيا)، حيث قدم خبر كأن (على الأعناق) على اسمها (أفاعيا) وجوبا، وذلك لمجيء خبرها شبه جملة واسمها نكرة، وهذا ما جعل الخبر يتصدر ترتيب الجملة ويكون مقدا على اسمها، فالنظ التركيبي لهذه الجملة هو:

كأن (الناسخ) + مسند مقدم (على الأعناق): خبر كأن مقدم (شبه جملة جار ومجرور) + مسند إليه مؤخر (أفاعيا): اسم كأن مؤخر (نكرة).

كأن: حرف تشبيه ونصب مبني على الفتح.

على: حرف جر مبني على السكون.

الأعناق: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، (وشبه الجملة (على الأعناق) في محل رفع خبر (كأن) مقدم).

منها: من: حرف جر مبني على السكون. الضمير (ها) متصل مبني في محل جر اسم مجرور.

أفاعيا: (اسم كأن) مؤخر منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

ب- على المستوى البلاغي:

يقول المتنبي في البيت الأول (إن في الموج للغريق لعذرا...)، فهنا يقدم في أذارا في حالة عدم تمكنه من ذكر جميع الأوصاف من حسن وفضائل وهذا بسبب الفوضى في أعماق صفات الممدوح لحسنها لم يتمكن من حصرها في كلامه، يقول: "إن فاتتني عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها كان عذري واضحا: لأنني غرقت فيها لتوافر محامدك والغريق في البحر

إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحاً، وتلخيص المعنى: إن فكري غرق في فضائلك: فليس إلى استيفاء وصفها من سبيل، وقولاه: أن يفوته: أي في أن يفوته وهو من صلة العذر، والتعداد: العد".(1)

فقدم خبر الناسخ (إن) على اسمه، وذلك لتأكيد الشاعر على أهمية الخبر والتخصيص والاهتمام، بسبب العذر فكان لهذا الانزياح مرآة عاكسة لإحساس الشاعر وحالته النفسية، فخلف أثراً في بناء المعاني في أنفوس المستمعين، والكشف عن المعاني العميقة، فلو لم يكن كسر في القاعدة الأصلية للناسخ (إن) وتقديم خبرها على اسمها، لما صبغ المعنى بصبغة جمالية وولد نغماً موسيقياً في نفس المتلقي.

وفي قوله (لعل سيف الدولة القرم هبة...) فهو هنا يوجه كلامه لسيف الدولة، ويدعوه إلى الالتفات وأخذ الشعراء بعين الاعتبار فيما امتدحوه، "القرم: السيد وأصله: الفحل الكريم من الإبل، وهبة: أي انتباهه، يقول: لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستحيز من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك، فيهلك باطلهم: يعني شعرهم ويبقى الحق يعني شعره".(2)

فالغرض البلاغي الذي حققه الشاعر هنا من تقديم خبر لعل على اسمها هو: التخصيص أي أنه خص كلامه لسيف الدولة وحده دون غيره مع الاهتمام به، وذلك ليضيف لمسة جمالية فنية جعلت المتلقي يدرك مدى أهمية ومكانة المتقدم (لسيف)، فكان لهذا العدول وظيفية بلاغية وضعت الكلام في قالب فني جمالي تتوهج منه أعذب المعاني.

أما في البيت الأخير (... كأن على الأعناق منها أفاعيا) فالمتنبي: "يريد بفرسان الصباح فرسان الغارة، وذلك لأن الغارة تقع عادة وقت الصباح أغفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً

(1) عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص552.

(2) المرجع نفسه، ص1042.

للغار، والأعنة: جمع عنان: يسير اللجام وهي مفعول به ثان (لتجاذب) يقول: إن هذه الخيل بما فيها من القوة والنشاط تجاذب فرسانها أعنتها، ثم شبه أعنتها في طولها وامتدادها بالحيات".⁽¹⁾

فالمتنبي قدم خبر (كأن) على (الأعناق)، وذلك لأن العنق أهم ما في جسم الإنسان وأنه محل الشرف والأمانة، وهو أشرف ما عند الإنسان يحمل الحياة والموت، فالرجل إذا حمل شيء حمله كأمانة على عنقه.

وجاءت (أفاعيا) نكرة للتعظيم والترهيب والتخويف، فالمستمع لهذا التركيب يقف منبهرًا من الجمال المنبعث من كلام الشاعر، وذلك لتناسب وتناغم هذا الترتيب مشكلا نظاما منسقا منسجما ظاهرا وباطنا، فكان لكل هذا دلالات معنوية، متبوعة بقيم بلاغية وضحت المعنى ورسخته في نفوس المستمعين وبينت عظمة (أفاعيا).

المبحث الثاني: مواضع التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

المتعارف عليه أن الجملة الفعلية تبتدأ بفعل على عكس الجملة الاسمية، وتتبع ترتيبا معينًا يكون فيه الفعل هو الأول ثم الفاعل وهذا إذا كان لازما، وإذا تعدى الفعل تصبح الجملة مكونة من فعل وفاعل ومفعول به، تفيد الثبات غير أن ترتيب الجملة الفعلية قد تتغير من موضع لآخر، وذلك لأسباب نحوية وأخرى بلاغية وذلك كما يلي:

1- تقديم المفعول به على الفاعل:

المفعول به هو ما يقع عليه فعل الفاعل سواء بالإثبات أو النفي، وحكمه النصب دائما.⁽²⁾

⁽¹⁾ عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص1612.

⁽²⁾ ينظر: عبد الله النقرات: شامل في اللغة العربية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2003م، ص80.

ويقول أحمد الهاشمي: "الفاعل هو الاسم المرفوع المسند إليه فعل معلوم تام أو شبهه مذكور قبله، ودل على من فعل الفعل".⁽¹⁾

ومما تقدم المفعول به على فاعله في شعر المتنبي نذكر:

قال:

تَشْكُو رَوادِفَكَ المِطِيَّةُ فَوْقَهَا *** شَكْوَى التي وجدت هِوَاكَ دَخِيلاً.⁽²⁾

وقال أيضا:

فَدَتْكَ الخَيْلُ وهي مُسَوِّمَاتُ *** وبيض الهند وهي مجردات.⁽³⁾

وقوله في هذا البيت:

أورَعَتِ الوحوشُ وهي تذكره *** ما راعَهَا حابِلٌ ولا طَارِدٌ.⁽⁴⁾

كما قدم أيضا المفعول عن فاعله في هذا البيت:

لو سار ذاك الحبيب عن فلك *** ما رَضِيَ الشمسَ بُرْجُهُ بدَلَهُ.⁽⁵⁾

أ- على المستوى النحوي:

نلاحظ في البيت الأول أن المتنبي قدم المفعول به على فاعله في هذه الجملة (تشكو روادفك المطيئة)، حيث قدم المفعول به (روادفك) على الفاعل (المطيئة) جوازا، وذلك لكون

⁽¹⁾ أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 113.

⁽²⁾ المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص 234.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 157.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص 552.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص 248.

الفاعل اسم ظاهر فوجب تقديم المفعول به على الفاعل. ومنه فالتركيب الإسنادي لهذه الجملة هو:

مسند إليه مقدم (رودفك): مفعول به مقدم + مسند مؤخر (المطية): فاعل مؤخر (اسم ظاهر).
فالإعراب جاء كالآتي:

تشكو: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها التعذر.

رودفك: مفعول به منصوب مقدم وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والكاف ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

المطية: فاعل مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

جاء في البيت الثاني في جملة (فدتك الخيل) تقديم المفعول به المتمثل في الضمير المتصل الكاف في (فدتك) على الفاعل (الخيل) جوازا، وذلك لسبب مجيء المفعول به ضميرا متصلا والفاعل اسم ظاهر فكان حق الصدارة للمفعول به فالنمط التركيبي لهذه الجملة هو:

مسند إليه مقدم (فدتك: ك): مفعول به مقدم (ضمير متصل) + مسند مؤخر (الخيل): فاعل مؤخر (اسم ظاهر). فإعراب الجملة هو:

فدتك: فدى: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء التانيث، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم.

الخيل: فاعل مرفوع مؤخر وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

وقع في تركيب البيت الثالث في جملة (ما راعها حابل) تقديم وتأخير بين المفعول به والفاعل، بحيث تقد فيه المفعول به (راعها) وتأخر الفاعل (حابل)، فالتقديم هنا واجب، وذلك بسبب وقوع المفعول به متصل بالفعل. فالمركب الإسنادي لهذه الجملة هو:

مسند إليه مقدم (راعها): مفعول به مقدم (ضمير متصل)+ مسند مؤخر (حابل): فاعل مؤخر
فالإعراب جاء كالآتي:

راعها: راع: فعل ماضي مبني على الفتح، والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول
به مقدم.

حابل: فاعل مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

أما في البيت الأخير تحديداً في الشطر الثاني في جملة (مارضي الشمس برجة) تقدم
المفعول به (الشمس) على الفاعل (برجه) وجوباً، وذلك بسبب اتصال الفاعل بضمير يعود
على المفعول به، فالنمط التركيبي لهذه الجملة إذا هو:

مسند إليه مقدم (الشمس): مفعول به مقدم + مسند مؤخر (برجه): فاعل مؤخر.

فإعرابها جاء على النحو الآتي:

ما: أداة نفي لا محل لها من الإعراب.

رضي: فعل ماضي مبني على الفتح.

الشمس: مفعول به أول منصوب مقدم الفتح الظاهرة على آخره.

برجة: فاعل مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني
في محل جر مضاف إليه.

بدلته: مفعول به ثاني منصوب بالفتحة والهاء ضمير متصل في محل رفع فاعل وهو مضاف،
والهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

ب- على المستوى البلاغي:

انزاح المتنبي في شعره عن القاعدة الأصلية التي بنيت عليها الجملة الفعلية فراح يقدم المفعول به على فاعله، وذلك بنية تحقيق غرض بلاغي قدم المفعول به (روادفك) على الفاعل (المطية) في قوله (تشكو روادفك المطية فوقها)، فالشاعر هنا يصف لنا الثقل والحمولة التي تشكو وكأن منها المطية، مخاطبة الروادف وهي محل الشكوى، فشبّه شكوى المطية لشكوى النفس التي تشكو من العشق والهوى، "فالروادف: الكفل وما حوله جمع رادفة لأنها تردف الإنسان أي تكون خلفه كالرديف الذي يكون خلف الراكب، يقول تشكوا المطية ثقل روادفك فوقها شكوى النفس التي وجدت هواك مداخلها يعني العاشق لها يعني نفسه".⁽¹⁾

فكان عدول المفعول عن الفاعل هنا لغرض التخصيص والتوكيد والاهتمام بالمتقدم (روادفك) لأنها أصل الشكوى، خص الروادف بالشكوى وهذا ما ولد انسجاما بين القاعدة النحوية والبلاغية ليشكلا نغما موسيقيا يجذب المتلقي، بالإضافة إلى تشويقه فلو كان ترتيب الجملة أصليا لتلاشي وتغير المعاني وأصبح كلاما عاديا.

في البيت الثاني (فدتك الخيل وهي مسومات...) يثني الشاعر على الخيل والسوق في تضحيتها في الحروب إذ تدافع على صاحبها وتفديه بما لديها ليحي وإن كان ذلك على حساب حياتها، "مسومات: معلمات بعلامات يعرف بها يقولك فدتك الخيول والسيوف في الحرب حتى تغنى هي وتبقى أنت غذ يبقى الخير لنا ما بقيت".⁽²⁾

قدم الشاعر المفعول به الضمير المتصل (الكاف) في فدتك على الفاعل (الخيول)، لغرض الاهتمام بالمتقدم حيث يخاطب المتنبي (سيف الدولة) ويفديه بأعلى وأعز ما عند العرب وهي الخيل، وهذا تعظيما له وتنبهها على مكانته والتوكيد على أهميته، والغاية البلاغية من هذا

(¹) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 1138.

(²) المرجع نفسه، ص 341.

العدول هي غاية جمالية فنية، تجعل السامع يدرك الفرق بين الأسلوب الأصلي والأسلوب الذي أبدعه الأديب أو الشاعر، لما قدم وآخر وهذا ما يشوقه للاستماع أكثر.

في البيت الثالث (...ما راعها حابل ولا طارد) فالمقصود هنا هو "الأبلج الذي ذكره في البيت السابق من القصيدة وهو المشرف الوجه، وعادت: لجأت، وراعها: أفزعها، والحابل الذي ينصب في الحباله وهي الشرك يقول إنه عزيز الجانب مهيب من لجأ إليه أو استأمن بذكره آمن حتى الطير والوحش".⁽¹⁾

فالمتنبي قدم المفعول به (راعها) المتمثل في الضمير المتصل بالفعل، على الفاعل (حابل) لغرض القصر، (يريد به الحصر) والاهتمام بالمتقدم مع التنبيه على منزلته، فحرك هذا روح البحث والفضول في المتلقي وترك في نفسه تشويقاً لمعرفة المتأخر، بالإضافة إلى تحقيق تناغماً موسيقياً في الشكل والمعنى.

في البيت الأخير (... مارضي الشمس برجه بدله) يتحدث المتنبي عن الحبيب فيقول لو أنه انتقل إلى مكان غير المكان الذي اعتدت رؤيته فيه لما رضيت الشمس بذلك، أي أن الشمس لا ترضى أن يكون هذا المحبوب في مكان غير الذي اعتدت أن أراه فيه، "الضمير في (برجه) للحبيب ورضى: بمعنى اختار وأحب فلذلك عداه بغير حرف الجر يقول: لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذي كان في أن تحله الشمس بدلا منه لأنها لا تغني غناه إذ لا تعادله في المحاسن".⁽²⁾

قدم الشاعر المفعول به (المسند إليه) الشمس على (برجه) لأهميتها؛ لأنها رمز النماء والعطاء والتجدد والأمل، فكان تقديم الشمس لعلو مكانتها ومنزلتها وهذا كان له أثر في توليد

⁽¹⁾ عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص568.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص1165.

متعة عقلية لدى المستمعين، نتيجة تحويل اللفظ من مكان إلى آخر، ليصل بالكلام إلى مكانة راقية لا تخلو من الرونق والجمال.

2-تقديم الحال على صاحبه:

يقول علي الجارم: "الحال اسم منصوب يبين هيئة الفاعل أو المفعول به حين وقع الفعل، ويسمى كل من الفاعل والمفعول به صاحب الحال".⁽¹⁾

فرتبة الحال تأخيره وتقديم صاحبه، وقد تتغير هذه الرتبة لأسباب نحوية وبلاغية.

ومن أمثلتها ما ورد في ديوان المتنبي قوله:

تخذي الركاب بنا بيضا مشافرها *** خضرا فوارسها في الرغل والينم.⁽²⁾

وقوله أيضا:

ملاقيه نواصيها المنايا *** معودة فوارسها العناقا.⁽³⁾

أ- على المستوى النحوي:

نلاحظ اشتغال البيت الأول على تقديمين، في الشطر الأول تقدم الحال (بيضا) على صاحبه (الهاء) في كلمة (مشافرها)، وكذلك بالنسبة للشطر الثاني تقدم أيضا الحال (خضرا) وتأخر صاحبه (فوارسها) فالتقديم هنا واجب، وذلك بسبب وقوع صاحب الحال متصلا بضمير، وهذا من لوازم تقديم الحال على صاحبه.

فإعرابها كالاتي:

(1) علي الجارم ومصطفى أمين: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الدار المصرية السعودية، مصر، (د.ط)، ج1، 1430هـ-2009م، ص343.

(2) المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص496.

(3) المصدر نفسه، ص290.

ملاقية: حال منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخرها.

نواصيها: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة لاسم الفاعل وهو مضاف، الهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

المنايا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

معاودة: حال منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخرها.

فوارسها: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

العنقا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

ب- على المستوى البلاغي:

بداية تطرقنا إلى تقديم الحال على صاحبه من الجانب النحوي، وبيننا مواطن القديم والتأخير، لنكمل الآن ونبين نية الشاعر من هذا العدول والانزياح حيث قال: (تخذي الركاب بنا بيضا مشافرها*** خضرا فوارسها في الرغل والينم) فهنا المتنبي يصف لنا الإبل.

وشرحه الواحدي بقوله: "تسير الإبل بنا وهي بيض المشافر باللغام وقال: ابن جني لأنها لا تترك ترعى لشدة السير خضر الفراس لأنها تسير في هذين النبتتين والفرسن لحم خف البعير".⁽¹⁾

فالإبل تقاد في السفر لمسافات طويلة وفي بيئة وعرة، وهي ممنوعة عن الرعي أي لا ترعى، ولكثرة سيرها أصبحت مشافرها بيضاء، وهي كناية عن طول السفر، وفي هذا التركيب قدم الشاعر الحال (بيضا) على صاحبه (الهاء في مشافرها) لغرض بلاغي المتمثل في:

(¹) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص762.

الاهتمام بالمتقدم والتخصيص أي خص الإبل ببياض مشافرها واخضرار فوارسها، وكذلك نجد نفس التركيب في قوله (ملاقية نواصيها المنايا***معاودة فوارسها العناقا) حيث راح المتنبي يكمل وصفه للإبل حيث قال: بأنها وصلت لدرجة من الشجاعة والخبرة في الطريق، فأصبحت تستطيع مواجهة الموت "المنايا" بمقدمتها أي نواصيها، فاعتاد فوارسها الانتصار في الحرب، وفي شرح الواحدي: "النواصي جمع ناصية، شعر مقدم الرأس، وملاقية ومعاودة، حالان من الخيل والعامل فيهما: المصدر من قوله: وكان الطعن يقول: إن خيله تلقى نواصيها المنايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فوارسها معانقة الأبطال في الحرب".⁽¹⁾

قدم الحال (ملاقية) على صاحبه (نواصيها) مع تقدمها أيضا في الشطر الثاني، فكان التقديم هنا لغرض الاهتمام بالمتقدم والتخصيص، فكان لهذا العدول في كلا البيتين أثر في المتلقي، وذلك من خلال تشويقه لسماع أكثر عن الإبل، فالمستمع لهذه الأبيات يجدها ذات أثر قوي في أذنه تجذب انتباهه وتؤثر فيه، فالعربي بطبعه مرهف الشعور ينجذب للفظة العذبة وما تحدثه من نغم موسيقي، مراعيًا في ذلك مدى ترابط الألفاظ بمعانيها، فلو لم يحدث عدول عن القاعدة الأساسية للحال لما كان هذا النغم والجمال في التعبير.

(1) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 818.

خلاصة:

بعد هذه الجولة العامرة في ديوان المتنبي والتي خصصناها لموضوع التقديم والتأخير كظاهرة نحوية بلاغية كان الانزياح أحد أهم مظاهرها بامتياز، فقد مثل عاملا مهما في إثراء النصوص الشعرية والنثرية في كونه ينظر في الأساليب ويدرس التراكيب، تناولها الكثير من الدارسون ووظفها الشعراء في دواوين أشعارهم فلا يخلو أي شعر منها، فالمتنبي واحد من هذه المواهب وإبداعاته الشعرية شاهدة على ذلك، فالمطلع على شعره يجده مليئا بالانزياحات التركيبية على اختلاف استعمالاته لها، فالتقديم والتأخير في شعره يمثل طابعا جليا وسمة من سمات الفن البلاغي، التجأ إليها لتجسيد حالته والتعبير عما يختلج في نفسه ومشاعره، ناهيك عن أثره وإيقاعه الموسيقي وجاذبيته المحركة للنفوس، ويحدث كل هذا بمجرد تحريك عنصر من مكانه ووضعه في موضع يتناسب والقواعد المشروطة، وغير أن هذا لا يرد عشوائيا بل يرتبط بأسلوب الشاعر ولغته، وما يحمله من معان وأغراض بلاغية تفهم من السياق العام للنص، فقد نوع المتنبي في استعماله لهذه الظاهرة في ديوانه لذلك لقب بأعظم شعراء العرب وأفضلهم فلا يستطيع أحد الإتيان بما جاء به لبلاغة أسلوبه وقوة تأثيره.

خاتمة

خاتمة:

من خلال انجازنا هذا البحث توصلنا إلى جملة من النقاط أهمها:

- البلاغة علم يتقاطع مع علم النحو ومكمل له لا يمكن الفصل بينهما لارتباطهما الوثيق ببعضهما البعض، فالنحو ينظر في تركيب الجملة من حيث الإعراب والبناء، والبلاغة تنظر في المعنى ودلالته وتسعى للوصول إليه من أقرب طريق لتحقيق تناغما وجمال يطرب له المتلقي.

- البلاغة بفنونها الثلاث (علم البديع-علم البيان-علم المعاني) استطاعت الإحاطة بكل جوانب الإبداع الفني في النصوص الأدبية بنوعيتها ولا سيما الشعر إذ أنها تهتم بموقع الكلمة في سياقها ومعرفة مدى تلائمها وصحتها.

- يحدث التقديم والتأخير على مستوى الجملة العربية بنوعيتها اسمية وفعلية فهو ظاهرة نحوية بلاغية تزوج بين العلمين فإذا كان النحو يبحث في تنظيم الجملة بنقل اللفظ ووضعها في مكان آخر وتوضيح موقعه الاعرابي، فإن البلاغة هي الأخرى تبحث في سبب تقديم عنصر وتأخير آخر وتبين غرضه البلاغي وأثره في السياق.

- يعد التقديم والتأخير بوابة الأديب للولوج إلى علمي النحو والبلاغة معا.

- كان لعلماء النحو والبلاغة القدماء والمحدثون الحظ الوافر في دراسة هذه الظاهرة وجعلوها جزءا لا يتجزأ من أبحاثهم كل واحد منهم تناولها حسب فكره ومنطلقه وفهمه فالنحويون يتجاهلون المعنى ويركزون على مواضع الكلمات داخل الجملة والبلاغيون كانت نظرتهم مختلفة تماما فهم يركزون على المعنى وما تؤديه من غرض، وكان لهذه الظاهرة الفضل في الكشف عن خبايا اللغة العربية وتنميق أسلوبها وذلك من خلال إخراجها من النظام العادي الى النظام الإبداعي.

- كما أن للتقديم والتأخير أنواع ذكرها الدارسون أمثال الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز نكر منها ما يبقى في الحكم على حاله لا يخرج عن أصله وما يتغير فيه الحكم في اللفظة المقدمة على ما كان في تأخيره.

- لا يكون اللجوء لهذه الظاهرة إلا لأسباب نحوية وأخرى بلاغية بغرض التعميم والتوكيد وقد يكون لعظمة المقدم وكثر الاهتمام والعناية به فيريد منها أن يلامس إحساس المتلقي وأخذه إلى عالم الخيال ما يجذبه ويشوقه للاستماع أكثر.

- يعد المتنبي من الشعراء الذين كسروا قاعدة الترتيب الأصلية للجملة، فقدم وأخر في الجملة الاسمية الخبر على المبتدأ، وقدم خبر الناسخ على اسمها، وتنوعت أسبابها النحوية تبعاً لموقعها داخل الجملة، وأغراضها البلاغية التي تمحورت غالباً في التوكيد والتخصيص، والاهتمام بالمتقدم، وكذلك نوع في التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، كتقديم المفعول به على الفاعل، وتقديم الحال على صاحبه، وكانت هي الأخرى لغرض العناية والاهتمام بالمتقدم، وهذا ما زاد شعره فصاحة وجزالة وجمالاً.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (د.ط)، ج1، 2006م.
2. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: علي أبو ملح، دار الهلال، بيروت، ط2، 1412هـ-1996م.
3. الجرجاني (عبد القاهر بن عب الرحمان): دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1، 1413هـ-1992م.
4. ابن جني (أبي الفتح عثمان): الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، ج2، (د.ت).
5. الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد): التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904م.
6. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، ج3، 1984م.
7. السكاكي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م. ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

8. سيبويه (أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج1، 1408هـ-1988م.
9. العبكري (أبو البقاء): التبيان في شرح الديوان، ضب: كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، ج4، 1871م.
10. ابن قيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصح: بدر الدين النعامي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ط)، 1910م.
11. المتتبي (أبو الطيب أحمد بن حسين): الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1403هـ-1983م.
12. ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، مطبعة القدس، جاورجيوس، بيروت، (د.ط)، 1883م.
13. الواحدي: شرح ديوان المتتبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، برلين، (د.ط)، 1426هـ-1861م.

المراجع:

1. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1996م.
2. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ط1، 1999م.
3. أحمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان للنشر الشركة المصرية العالمية للطباعة والنشر، لونغمان، مصر، 1997م.
4. أحمد مختار عمر وآخرون: النحو الأساسي، دار السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1414هـ-1994م.

5. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ-1993م.
6. أحمد مصطفى المراغي: في علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1993م.
7. أحمد مطلوب: بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، مج1، 1987م.
8. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1994م.
9. جورج عبدو معتوق: المتنبي الشاعر الشخصية القوية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1401هـ-1981م.
10. حسن نور الدين: الدليل إلى قواعد اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ-1996م.
11. عبده الراجحي: التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ-1999م.
12. عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مدرسة هنداوي للتعليم والتجارة، القاهرة، مصر، ط2، (د.ت).
13. السامرائي (محمد فاضل): النحو العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1435هـ-2014م.
14. سامي عطا حسين: التقديم والتأخير في نظم القرآن ودلالاته، جامعة آل البيت، المغرب، (د.ط)، 2013م.
15. سعيد سليمان حمودة: دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، (د.ط)، 1999م.

16. الطوفي (سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي): الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الأدب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
17. عبد العزيز عتيق: علم المعاني البيان البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج1، 1405هـ-1985م.
18. عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1998م.
19. علي الجارم ومصطفى أمين: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الدار المصرية السعودية، مصر، (د.ط)، ج1، 1430هـ-2009م.
20. محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م.
21. محمد عبد الرحمان شعيب: المتنبى بين ناقيديه، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1964م.
22. عبد الله النقراط: الشامل في اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

المعاجم:

1. البستاني(بطرس): محيط المحيط، تح: محمد عثمان، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 2009م.
2. الجوهري (أبي ناصر إسماعيل بن حماد): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد الشامي، دار حديث، القاهرة، 1430هـ-2009م.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: محمد عثمان، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 2009م.

4. علي بن محمد بن علي: التعريفات للجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار التراث، (د.ط)، 816-740هـ.
5. ابن منظور(جمال الدين بن محمد بن محمد بن مكرم): لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت).
6. ابن منظور(جمال الدين بن محمد بن محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، مج12، (د.ت).

الرسائل الجامعية:

1. إبراهيم صامب: الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبو الطيب المتنبي، جامعة شيخ أنت جوب بDKار، السنغال، 2005-2006م.
2. غادة أحمد بواب: التقديم والتأخير في المثل العربي، دراسة نحوية بلاغية، وزارة الثقافة للنشر، مطبع السفير، عمان، 2011م.

المقالات:

1. عبد الرحمان حجازي: التقديم والتأخير بين القاعدة النحوية والجمالية البلاغية، المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة(الجزائر)، من موقع شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، 10 ديسمبر 2017م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
7-6-5-4	مقدمة
مدخل	
10-9	1-تعريف البلاغة
9	1-1-لغة
11-10	1-2-اصطلاحا
18-11	2-أقسام البلاغة
13-11	2-1-علم المعاني
12-11	2-1-1-تعريفه
12	2-1-2-موضوعه
13	2-1-3-واضعه
13	2-1-4-مباحثه
16-14	2-2-علم البيان
14	2-2-1-تعريفه
14	2-2-2-موضوعه
15-14	2-2-3-واضعه
16-15	2-2-4-مباحثه

18-16	2-3-علم البديع
17-16	2-3-1-تعريفه
17	2-3-2-واضعه
18-17	2-3-3-مباحثه
19-18	3-التقديم والتأخير بين القيمة النحوية والجمالية البلاغية
20-19	4-أهمية التقديم والتأخير
الفصل الأول: ماهية التقديم والتأخير	
23-22	المبحث الأول: تعريف التقديم والتأخير
22	1-التقديم لغة
23-22	2-التأخير لغة
23	3-التقديم والتأخير اصطلاحاً
28-24	المبحث الثاني: جهود النحويون في دراسة التقديم والتأخير
26-25-24	1-النحويون القدامى
28-27-26	2-النحويون المحدثون
32-28	المبحث الثالث: جهود البلاغيون في دراسة التقديم والتأخير
31-29	1-البلاغيون القدامى
32-31	2-البلاغيون المحدثون
33-32	المبحث الرابع: أنواع التقديم والتأخير

37-36-35-34	المبحث الخامس: أسباب التقديم والتأخير
الفصل الثاني: دراسة نحوية بلاغية للتقديم والتأخير في ديوان المتنبي	
-39	المبحث الأول: مواضع التقديم والتأخير في الجملة الاسمية
47-39	1-تقديم الخبر على المبتدأ
52-47	2-تقديم خبر (كان) وأخواتها على اسمها
57-53	3-تقديم خبر (إن) وأخواتها على اسمها
-57	المبحث الثاني: مواضع التقديم والتأخير في الجملة الفعلية
63-57	1-تقديم المفعول به على الفاعل
65-63	2-تقديم الحال على صاحبه
66	خلاصة
69-68	خاتمة
75-71	قائمة المصادر والمراجع
79-77	فهرس الموضوعات
84-81	ملاحق
	ملخص

ملاحق

*التعريف بأبي الطيب المتنبّي:

أبو الطيب المتنبّي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، ولد بالكوفة سنة ثلاثمائة في محله تسمى كندة فنسب إليها. (1)

وقدم الشام في صباه، وبها نشأ وتأدب، ولقي الكثيرين من أكابر علماء الأدب منهم الزجاج، وابن السراج وأبو الحسن الأخفش وأبو بكر محمد بن دريد وأبو علي الفارسي وغيرهم وتخرج عليهم فخرج نادرة الزمان في صناعة الشعر ولم يكن في وقته من الشعراء من يداينه في علمه ولا يجاربه في أدبه. (2)

وقد سمي بالمتنبّي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة من أعمال الكوفة فلما ذاع أمره وفشا سره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فأسره ولم يحل عقاله حتى لا ولم يمضي الزمن على تخلية سبيله حتى لحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان، وكان ذلك سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة 948م فمدحه فأحبه وقربه وأجازه الجوائز السنوية وأجرى عليه كل سنة ثلاث آلاف دينار خلا ما كان يهبه من القطاعات والخلع والهدايا المتفرقة. (3)

ثم وقعت وحشة بينه وبين سيف الدولة ففارقه سنة ست وأربعين وثلاث مئة، وقدم مصر ومدح كافورا الإخشيدي فأجزل صلته وخلع عليه، ووعدته أن يبلغه كل ما في نفسه، وكان أبو الطيب المتنبّي قد سمت نفسه إلى تولي عمل من أعمال مصر فلما لم يرضه هجاه وفارقه في أواخر سنة خمسين وثلاث مئة وسار إلى بغداد وفيها كانت له الحاتي القصة المشهورة.

ثم فارق بغداد متوجهاً إلى بلاد فارس فمر بأرجان وبها ابن العميد فمدحه وله معه مساجلات لطيفة يشار إليها في موضوعها من الديوان، ثم ودع ابن العميد وسار قاصداً عضد الدولة بن

(1) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبّي، مرجع سابق، ص15.

(2) ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، مطبعة القدس، جاورجيوس، بيروت، (د.ط)، 1883م، ص2

(3) المتنبّي: الديوان، مصدر سابق، ص5.

بويه الديلمي بشيراز فمدحه وحظي عنده، ثم استأذنه وصرف عنه عائداً إلى بغداد فالكوفة في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه ومع المتنبي جماعة من أصحابه أيضاً، فقالت وهم فقتل المتنبي وابنه محشد وغلماه مفلح بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد وكان مقتله في أواخر رمضان من السنة المذكورة.⁽¹⁾

أما سبب قتله فقيل هي تلك القصيدة التي هجا بها ضبة بن يزيد العيني وكانت والدة ضبة شقيقة فاتك المذكور، فلما بلغت القصيدة أخذ الغضب منه كل مأخذ وأضرر السوء لأبي الطيب ولما بلغه مغادرة المتنبي لبلاد فارس وعلم اجتيازه بجبل دير العاقول تتبع أثره.⁽²⁾

*التعريف بالديوان:

ديوان المتنبي هو كتاب من تأليف أبو الطيب المتنبي، أحد عمالقة الشعر العربي الفصيح، قيل في العصر العباسي، يعد من أكثر الكتب التي حظيت باهتمام كبير من قبل العلماء اللغويين والنقاد من حيث الشرح والدراسة، لم يحظ بها أي ديوان من دواوين الشعر، شرحه العديد من الأدباء.

وتحدث عنه الشيخ يوسف البديعي (ت 1073) فقال: «وانتدب العلماء الديوان المتنبي وشرحوه شروحا كثيرة، فمنهم من تكلم على ديوانه أجمع ومنهم من تكلم عن بعضه.⁽³⁾»

1-موضوعاته:

وتمثلت أغراض عن غيره من فحول الشعراء فيما يلي:

⁽¹⁾ ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، مصدر سابق، ص2.

⁽²⁾ المتنبي: الديوان، مصدر سابق، ص6.

⁽³⁾ محمد عبد الرحمن شعيب: المتنبي بين ناقديه، دار المعارف، مصر، (دط)، 1964هـ، ص32.

1-1- المدح: وقصده من الشعراء من غير أبي الطيب المتنبى أبو فراس وأبو العباس النامي وعلي بن عبد الله الناشئ، والسري الرخاء، وكثيرون من غيرهم، وبلغت مدائحه عشرات الألوف من الأبيات، اختار منها بعض الأدباء كثيرون أيضا منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي، لكن كانت أكثر مدائحه لسيف الدولة الحمداني، وكافور الإخشيدي، وأبي العشائر.

وجملة القول في مدحه ما قاله جورج عبدو معتوق: "أن مدح المتنبى جيد بارع لولا علوه الممقوت، وأفحمه ما جاء في سيف الدولة، وأبرعه ما جاء في كافور".⁽¹⁾

1-2- الهجاء: لم يشتغل المتنبى بالهجاء كما اشتغل به غيره من الشعراء كجرير والفرزدق، فلم يفرغ للهجاء إلا حين يبغض أوحين يريد أن ينتقم، ولم يهجوا بقصائد مستقلة إلا ثلاثة كافور الإخشيدي والي مصر، وابن كيغلق، وضبة، فهجا الأول لأنه خيب رجاءه، والثاني لأنه حبسه عن السفر لما امتنع عن مدحه، والثالث لإرضاء رفاقه، وبالتالي جاء هجاءه انتقاما لكرامته الثائرة ونفسه الجريحة ونفسه المتألم.⁽²⁾

1-3- الفخر: كان أبو الطيب المتنبى شاعرا مغرورا ذا عزيمة نادرة وكبرياء شديد، يؤمن بتفوقه على البشرية طموحا ونكاء وشجاعة وصبرا، وقد دفعه ذلك كله إلى الإعجاب بنفسه والافتخار بها في كل مناسبة حتى لا تكاد قصيدة واحدة من قصائده تتجرد من الفخر.⁽³⁾

1-4- الرثاء: عرف المتنبى الرثاء كغيره من الشعراء، وأشهر رثاهم جدته وأقارب سيف الدولة، وأبو شجاع فاتك، ومحمد بن إسحاق التنوخي.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ جورج عبدو معتوق: المتنبى الشاعر الشخصية القوية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1401، 2، 1981م، ص 66.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص99.

⁽³⁾ إبراهيم صامب: الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبي الطيب المتنبى، جامعة شيخ أنت جوب بديكار، السنغال، ص41.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 43.

1-5-الغزل: كان الغزل نادرا في ديوان المتنبي لم يعتني به كثيرا لأنه لم يكن مولعا بالنساء ولدواعي اللهو والمجون وما نظمه في الغزل كان وفاء للفن تبعا لنهج الشعراء السابقين.⁽¹⁾

1-6-الوصف: وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات نظم فيها اثني عشر وخمسمائة ألف بيت في ثمان وثلاثين قصيدة، وإحدى وثلاثين قطعة، منها أربع عشرة قصيدة في وصف وقائعه مع الروم، وأربع في وقائعه مع العرب، وخمس عشرة في المدح، لمجرد عن وصف الوقائع.⁽²⁾

1-7-الحكمة: اشتهر أبو الطيب المتنبي بالحكمة ويتداولها الناس عبر الأجيال جاءت حكمه موزعة في جميع قصائده في المدح والثناء والغزل أحيانا ترد في بداية القصائد وأحيانا أخرى في آخرها.⁽³⁾

⁽¹⁾ ابراهيم صامب: الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبي الطيب المتنبي، مرجع سابق، ص44.

⁽²⁾ عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص37.

⁽³⁾ ينظر: ابراهيم صامب: الخصائص الفنية والمعنوية في مدائح أبي الطيب المتنبي، مرجع سابق، ص46.

ملخص

ملخص:

تهدف الدراسة للكشف عن مواطن التقديم والتأخير وأساره البلاغية والفنية، والوقوف على دلالات الألفاظ وإيصالها بالمعنى المطلوب لتلقى استحسانا وقبولاً لدى القارئ وتؤثر فيه، وقد اشتملت الدراسة على جانبين جانب نظري وآخر تطبيقي، واعتمدنا فيها على المنهج الوصفي التحليلي، ولاختبار صحة الفرضيات ونجاحها قمنا بتحليل بعض نماذج من شعر المتنبي على المستويين النحوي والبلاغي، وقد توصلنا إلى أن التقديم والتأخير باب من أبواب النحو ومقصد من مقاصد البلاغة تحديداً علم المعاني، واكتشفنا مدى تأثير تقديم المتنبي لأجزاء من الكلام وتأخير بعضها، والتي تعود لأسباب نحوية يحددها الموقع الإعرابي، وأسباب بلاغية تفهم من السياق والتي تمحورت أغلبها في التوكيد والتخصيص، والعناية والاهتمام بالمتقدم، والتشويق، ناهيك عن الأثر الجمالي الذي أضفاه على قصائده التي تطرب له النفوس وتتذوقه الألسن.

وعليه جاءت المذكرة بعنوان: التقديم والتأخير وأثرهما البلاغي في ديوان المتنبي.

الكلمات المفتاحية: علم البلاغة، التقديم والتأخير، المتنبي، التقديم والتأخير في الجملة الاسمية، التقديم والتأخير في الجملة الفعلية.

Abstract:

The study aims to reveal the areas of introduction and delay and its rhetorical and technical secrets, and to identify the semantics of the words and convey them with the required meaning to receive approval and acceptance by the reader and influence him.

The study included two aspects, a theoretical and an applied, in which we relied on the descriptive-analytical approach, and to test the validity and success of the hypotheses, we analyzed some samples of Al-

Mutanabbi's poetry at the grammatical and rhetorical levels. The extent of the impact of Al-Mutanabbi's presentation of parts of speech and the delay of some of them, which are due to grammatical reasons determined by the syntactic site, and rhetorical reasons, most of which centered on emphasis and specification, care and attention to the advanced, and suspense, not to mention the aesthetic impact that he added to his poems that delight souls and taste him, and accordingly came the note Entitled: Presentation and Delay and their Rhetorical Effect in Al-Mutanabbi's Diwan.